

بعض من توهجنا القومي - بلغتنا-

... في العدد الثامن والتسعين من - الإنحاف الغراء - 1419 . 1999 .
نتحسّ ارهاصات الأفق المشرع باللون الشفقي . وعلى جبينه قلادة قزحية تؤذن
بأنّه الصّحو .. وأنّه اليقين .. وتلك بشارات الزّمن القادم / القرن 21 . وهو يؤشّر
لحلوله بخطابه التدشيني الأنطولوجي الذي نحمله كلّ طموحنا .. وكلّ تطلّعنا لغد
أكثر انطلاقة ...

وبرغم نبوءات يناير ... وبرغم هذا الهزّام الأخضر الذي يؤسّس لربيع مزهر
في عهد الأمان .. فإنّ كيّاننا يضجّ لرؤية الصّفاء هنا .. تفتّج برؤيا التّزيف هناك
.. لدى أشقّاتنا في أرض الرّكفدين - العراق - حيث مشهد الصّليبيّة الجديدة يتكرّر
في لبوس الإمبرياليّة المهدّبة تحتاج شرحاً من أدبنا العربي المقدّس لتصادر التّاريخ
وتبيد الإنسان والكيان جرثومياً ... حتّى لا تكون الرّيح بعدُ إلاّ عقيباً وحتّى يكون
السيّاب - لا يولد من رحمته إلاّ بثور قتاله .. إنّها دورة جديدة لفرض الإنضباط
الصّارم لمحاصرة الرّجل الأبيض !! ولا بأس من تشغيل الآلة العسكريّة الضخمة .
وحتّى البيولوجيّة منها والجرثوميّة التي تمّ حشدها في الخليج لكي لا تأكلها
الأرضيّة وتجرّب حتّى على الأجنّة في أرحامها من أجل أن تظلّ هناك على اليابسة
استراتيجيّاً واحدة بعد أن فُبرت مقولات : - توازن الرّدع ! .. أو توازن الرّعب !
فالرّعب واحد وهولاً وكو بنفس السّحنة . يخرج كالمارد من قمقمه لضرب إرادة
الإنسان التي شيّدت هناك عبر تاريخ الكنعانيين والبابليين والسّومريين والآشوريين
وأولئك القادمين من أرام النّهريين وأور الكلدانيين حضارة متجذّرة الكيان ... متّصلة
البنیان ، نقيّة الأصلاب ، عربيّة الهويّة . عالميّة المنشأ .. مازالت أرضها السّواد
أكثر خصبا بين النّهريين تدرّ خراجها العربيّ كلّ حين . فترفع بأذن ربّها القحط ..
فلازالت الأعظميّة وكربلاء .. ومزارات النّجف الأشرف .. ولازال المريد .. ويظلّ
الفرات عذبا فراثا .. ولازال الفرزدق يرثجج شعر الحماسة يمدّ أذرع التّواصل الإبداعي
مع السيّاب ونازك الملائكة والبيّاتي مترنمين بموسيقى زرباب والموصلي ..

وتلك هي الحضارة تنافح عن كيانها برغم المحرقة لأن إرثها التاريخي الزاخر يقف محتشدا بكل عناصره الثقافية ورموزه الفكرية في مشهد الإلتحام بالأرض الإنسان بلغة واحدة .. فالعربية ليست أداة تخاطب أو تشاقت أو تواصل فحسب .. بل إنها أرضية هذا الفكر المشترك والمصير المشترك فهي التي توحّدنا اليوم نبضا ومدادا .. ودفقا جويًا لكل ما يقرب المسافات بيننا ويردم كل هوة بيننا .. ويجبر كل المشهد بيننا لتظل الرؤية واحدة والإبداع مشترك لأن الحلم واحد .. وحتما فالطريق واحد .. لذلك فاللغة والإبداع الفكري من مشتقاتها تقاوم اليوم الإجتياح والرداءة وقد انتقى الأستاذ : عبد السلام المسدي من ثقافته الألسنية غيض من فيض ذلك التوهج القومي :

« بين الفساتين الزرق

وعراء الكواليس

تفقاً للحقائق وعيون الصدق

ويضرب العرب ... » (1)

ولكنه حتما كما يختم قصيدته : « لن يذعن العرب ... » من أجل ذلك تستمرّ الإتحاف متوحدة بنبض الأرض ونبض القلم حتى يشعّ مدادها أكثر تحت الشمس .. أمانة على كل مشهد إبداع يقاوم الموت ببسالة فذة إنطلاقاً من تونس / الوطن . واحة الأمان الذي يحتضن كل القادمين العرب المبدعين الأصحاء أو المكالمين فشرانا الأخضر بلسم لكل جرح ..

ومهما كان ذلك الإجتياح طوفانا عاتيا .. فسفينة الحضارة العربية تطفو فوق الطمي شامخة لأنّ القدر التاريخي قضى بذلك : « وقيل يا أرض ابلعي ماءك وبيا سماء أقلعي وغيض الماء وقضي الأمر واستوت على الجودي وقيل بعدا للقوم الظالمين » . (2)

التحرير

هامش :

1 - أبيات من قصيدة خربة عنوان : لن يذعن العرب . للأستاذ : عبد السلام المسدي . نشرتها جريدة الصباح بتاريخ 9 جانفي 1999 .

2 - الآية 44 . سورة هود .

الحرية

الصدفة... الضرورة... الحتمية

إعداد الأستاذ : محمود الفرشيشي

إن نقد العقل جزء أساسي وأولي من كل مشروع للنهضة .
ولكن نهضتنا العربية الحديثة جرت فيها الأمور على غير هذا المجرى ،
ولعل ذلك من أهم عوامل تعثرها المستمر إلى الآن . وهل يمكن بناء نهضة بغير
عقل ناهض ، عقل لم يقوم بمراجعة شاملة لآلياته ومفاهيمه وتصوراته ورؤاه ؟
... وفي هذه الحالة كان سيستفيد حتما من الأعمال السابقة له : يتعلم
منها ويتجنب تكرار أخطائها ويجهد في إضافة لبنة إلى صرحها .. وإن هو شعر
بأن هذا الصرح في حاجة إلى تفكيك وإعادة بناء ، وكان له من الطموح ما
يكفي ، أقدم على تدشين خطاب جديد في موضوع ، لانتقول : " جديد " ، بل
متجدد .

محمد عابد الجابري

ورد عن المجمع العلمي السوفياتي قولهم : "وصل الفلاسفة في مناقشتهم
مشكلة الحرية إلى نتائج مختلفة ولكنها كانت دائما نتائجاً خاطئة " .
هذا القول صادق بالنسبة إلى المتفلسفين من بني البشر ، ولكنه لا يصدق
بالنسبة للإنسان البسيط الذي يقول : " أنا حرّ أفعل ما أريد " وهو قول ينقلنا
مباشرة إلى أعماق جوانب مشكلة الحرية ، ونعني بها الضرورة كشرط للحرية .
فالضرورة أي خضوع الطبيعة والإنسان لقوانين علمية هي الشرط الأول لإمكان
تحقيق أي فعل في المستقبل ، وقابلية ما نصممه على أساس تلك القوانين

للقوع استنادا إلى حتميتها العلمية . فالماضي يفلت بمجرد وقوعه من إمكانية الإلغاء ، وبه تصبح الحرية حركة موضوعها المستقبل الذي لم يقع بعد والذي تتجه إلى أن تحققه على الوجه الذي تختار ، وسيلتها إلى هذا أن تحول دون إمداد الماضي تلقائيا في المستقبل ، بأن تغير شروط قوانين تحوكه ، ليقع المستقبل على ما نريد . وكلّ هذا يصبح وهما لو أنّ الطبيعة والإنسان نفسه يعبران الماضي إلى المستقبل ، تحولا أو تطورا ، على غير قاعدة منضبطة علمية . وعندما يصبح المستقبل مصادفة أو قدرا ، يمتنع الحديث عن الحرية أيضا .

على هذا الأساس نستطيع أن نقدر المذاهب الفكرية التي تنكر انضباط العالم على قوانين حتمية " كما القدرية " مثلا . فالقدرية تذهب إلى أن ما يقع مقدر وقوعه حتما قبل أن يتدخل الإنسان . غير أنّ هذا القول ينطوي على مفهومين متعارضين ، يخلط بينهم خلطا جاهلا ، الذين لم يتعبوا أنفسهم في دراسة " القدرية " ويرفضونها أصلا لأنها نشأت في كنف الأديان ، مع أنّه لا يمكن فهم القدرية ، ولا فهم الأديان ، إلا بالتمييز بين المفهومين الذين يتعارضان تحت عنوان واحد . فالقدرية على وجه تعني أنّ القوة المحركة للكون والإنسان قائمة ومحددة قبل تدخل الإنسان ، وأنّ الإنسان نفسه مقيّد بها ، فلا يستطيع أن يفعل إلا ما يقتضيه نظامها وانضباطها . وهذا يساوي تماما القولة بأن الطبيعة والإنسان معا متطوران على أساس قوانين حتمية لا يستطيع الإنسان تجاهلها أو أن يخلق قوانين أخرى بديلة عنها . وهو تفكير علمي لا تضبره صياغته غير الدقيقة أينما وجدت في الكتابات الدينية أو غيرها ، كما لا يضيرها أن تسمى تلك القوة أسماء مختلفة . والقدرية على هذا الوجه شرط أوّل للحرية ، وحافز عليها ، ومعين لا ينضب من الثقة في المقدرة على " أن نفعل ما نريد " ولا نستطيع أن نعرف على ضوء هذا كيف غير المسلمون وجه الأرض وأرسوا على أركانها حضارة علمية عريقة .

والقدرية على وجه آخر تعني أنّ مضمون المستقبل ذاته ، سيقع على الصورة المقدرة له دون تدخل للإنسان وعلى غير قاعدة معروفة ، أي أنّ قوى أخرى ، أو إرادة خفية تحلّ للإنسان مشكلاته وتبني له مستقبلا طبقا لهواها الذي لا تمكن معرفته أو التنبؤ به . عندئذ تكون " الحرية " كلمة جوفاء لا معنى لها لأنّ الماضي الذي وقع

لا نستطيع أن نلغيه، والمستقبل الذي سيقع لا نستطيع أن نعرفه، فلا بد أن نقبله .
وقد نستطيع أن نعرف على ضوء هذا موقف العلم من كثير من المذاهب الدينية التي
تعلق مصير الإنسان على غير إرادته ، وتسليه القدرة على التأثير في المستقبل
لأن المستقبل من صنع غيره. غير أن هذه القدرة " ليست مقصورة على بعض
المذاهب الدينية فإن كثير من المفكرين يجردون العالم من انضباطه على قوانين
احتمية . باسم البحث العلمي في بعض الأوقات . فيصلون إلى تلك القدرة " التي
تجهل المستقبل وتفلت به من إرادة الإنسان ومعرفته تاركة للمصادفة المجهولة التي
تصبح لديهم "لا ادرية" .

من هؤلاء هنري برجسون الذي حرّر الإنسان من المستقبل المحتم واسترد له
حريته لمجرد أن يعطلها مرة أخرى ، وقال للإنسان لا تخف أن مستقبلك غير
مفروض على إرادتك إذ لا مستقبل لك . يقول برجسون في كتابه "التطور الخالق"
: " لما كان الماضي يبقى حياً في الحاضر فإنه يستحيل علينا أن نغمر بالحالة الواحدة
مرتين وأن شخصيتنا تنمو وتنضج دون انقطاع . وهي بهذا النمو تكسب شيئاً لا
يمكن أن نتنبأ به من قبل ، لأن التنبؤ معناه إسقاط في المستقبل لإدراك في
الماضي أو تصوّر إدراك جديد للحاضر أدركت لتأبقه ولكن ما لم يدرك بعد وما هو
بسيط في الوقت نفسه فإنه بالضرورة يبقى عصباً على التنبؤ . فإذا نحن نخلق
أنفسنا كل لحظة وهذا الخلق يؤثر في شخصيتنا من جديد . وعلى هذا نقول : إذا كان
ما نعمل يتعلق بما نحن عليه فإن ما نحن عليه أيضاً هو إلى حد ما نتيجة ما
نعمل . إن أعمالنا هي التي تعلمنا . " وهكذا ردّ برجسون للإنسان حريته ، لأنه
خلق نفسه كل لحظة ، كلما في الأمر أنه لا يستطيع أن يعرف ما سيخلق عليه من
جديد وعلى أي حال فإن مسؤولية ما هو عليه راجعة إليه وحده لأن "أعمالنا هي
التي تعلمنا " .

لقد استطاع برجسون أن يدرك فكرة الزمان الذي لا يمكن فهم الحرية بدونه
ولكنه لم يفسر الحرية في الزمان الذي اكتشفه . فقد كان عليه بعد أن عرف تلك
التي أسماها "الديمومة" ونقض على أساسها مذاهب الجبرية ، أن يحدد دور الحرية
في سياق الزمان المستمر. وقد اختار برجسون الماضي وركز عليه كدافع للحركة إلى

المستقبل وقد قال في كتابه "التطور الخالق" ليس من شك في أن الماضي بأجمعه يشبعنا في كل لحظة ، فكلما شعرنا به وما أردناه منذ طفولتنا الأولى قائم هناك متجه نحو الحاضر الذي سوف نلحق به .

وفهم الحرية على أنها اتحاد الماضي بالإنسان والتقدم معه قال في كتابه "المعطيات المباشرة للشعور" - "إننا نرغب ونريد ونعمل بماضينا كله" . لقد حرر الإنسان من جبرية الجمود ، وحركه إلى المستقبل ، وعرف أن الحرية هي تلك الحركة ، ولكنه لم يزد على أن جعل الإنسان كقذيفة تدفعها إلى الأمام طاقة انفجار البارود التي خلقها دون أن تدري أي هدف تصيب . دون أن يدري ماذا يفعل . فالحرية عند برجسون تقدم تلقائي تسقط من النفس كسقوط الثمرة الناضجة من الشجرة " كما قال في "المعطيات المباشرة للشعور" .

ثم وجهة نظر أخرى طبقها براءة ليكون دونوي في كتابه " مصير الإنسان " مؤدي هذه النظرية أن كل القوانين التي نقول أنها حتمية ، ليست مطلقة ولكن لها استثناءات ، حتى القوانين الطبيعية . فأتينا نلاحظ في الطبيعة آلاف الحالات ثم نربط بين حركتها ونستنتج قاعدة تقول أنها تحكم أية حالة مع أن الواقع أن تلك القاعدة قانون إحصائي (استاتيكي) لا تنطبق به إلا الحالات التي لاحظناها حتى لو تعدت الآلاف ، ونحن إذ نعممها لنجعلها قانونا فلأتنا نفترض أننا إذ لاحظنا أغلب الحالات فإن ما بقي منها استثناء لا يعتد به . إن هذا الاستثناء لم يخضع قط لملاحظاتنا وقد لا يخضع قط لقانون ، ولكننا نتجاهل ما هو استثناء لأن القانون يكفي لمعرفةتنا الموضوع ، دون أن ننسى أن ثمة احتمالات خاصة بالاستثناء الذي تجاهلناه . ومؤدي هذا أن الإنسان قد يكون حراً ولكن فاعليته حرته ليست حتمية . كما أنه قد يكون حراً بمعنى أنه ليس مسيراً بغيرائه . ولكن الواقع "الإحصائي" أن الأفراد يتركون أنفسهم في أغلب الحالات لتقوهم غرائزهم دون استعمال لحيثهم ويترتب على هذا أنه إن كان ثمة مجال لحرية الفرد فهو مجال غير مؤثر ولا يعتد به .

إن هذا الفكر اليائس قد نفذ إلى فكر الماركسيين لأنه فكر سهل التنفيذ نظرا لمرونته ، فهو يقر بوجود نوع من القوانين مما يوحي بأن ثمة مجال للحرية على

أساس من تلك القوانين . ثم يعود فيجرد القانون من حتميَّته بالنسبة إلى كلِّ "النوع" الذي يضبط حركته ورغم توافر "كلِّ شروط فاعليَّته ويجعله قانونا بالنسبة إلى أغلب الحالات مبقيا على الإيهام بأنَّ الإنسان حرٌّ في أغلب الظروف . وما أن ننزلق معه إلى هذا الحدِّ حتَّى يعود فيستعمل قانونه الإحصائي المشوِّه ليقول إنَّ الإحصائيَّات تثبت أنَّ الإنسان لا يستعمل حريته في "أغلب" الظروف فهي حرَّة لا يعتدُّ بها ، وبذلك يصبح مستقبل الإنسان عصبًا على إرادته في أغلب الأحوال . إنَّ الفكر الستاتيكي مرحلة مختلفة من البحث العلمي . إنَّنا ندرك أنَّ البحث العلمي يبدأ بملاحظة الوقائع المفردة ، أي بجمع إحصائيَّات ، غير أنَّه لا يقف عند هذا الحدِّ ، بل يكشف العنصر المشترك في الوقائع المفردة ليصوغ منه قانونا يطبقه على ما لم يرد في ملاحظاته الأولى ، فإن صدق ثبت ، وإن لم يصدق كان معنى هذا أنَّنا في حاجة إلى مزيد من الملاحظة والكشف لتعبد الاختبار ... وهكذا إلى أن نصل لتحديد القانون الذي يفسِّر ما لاحظناه أولاً وأخيراً وما لم يقع في مجال الملاحظة بعد . والقانون لا يعتبر قانونا إلا بهذا ، أمَّا قبله فهو قاعدة إحصائيَّة إذا وقف عند الملاحظة ، أو فرض إذا لم يصل إلى حدِّ التجربة ، ولكن التجربة والتطبيق ينهيان الإحصائيَّات والفروض . يضعان في يدنا قانونا حتميًّا . عندئذ لا يمكن التشكيك في حتميَّة القانون بأنَّ كلَّ شيء لم يدخل في نطاق الملاحظة ، أو بأنَّ شيئاً لم يكن موضع التجربة فليس من اللازم . مثلاً أن تغلي مياه الأرض جميعاً لنعرف أنَّ الماء يغلي في درجة 100° في الضغط العادي ، وإنَّما يكون التشكيك في أيِّ قانون بتحديد بواقعة معيَّنة يخطئ في تفسيرها ، هنا يفقد صفته كقانون لنعود فنبحث عن القانون الذي لا يخطئ ، لا لتكتفي بالملاحظة الإحصائيَّة فنوهم أنفسنا بأنَّها قانون غير حتمي . والإكتفاء بهذا الوهم يحيل الحرَّة وهما ، لأنَّ الإنسان ، بها ، لن يستطيع أن يصنع مستقبله مهما كان حرّاً لأنَّ الطبيعة تسير على قوانين غير حتميَّة ، ما دما لا نعرف القوانين التي تحكم الطبيعة فلا أمل لنا في أن نغيرها . ومن ناحية أخرى فإنَّ أيَّة محاولة تغيير لن يكون لها أثر ، لأنَّها استثناء لا يعتدُّ به . إذ يفهم الإنسان هذا ويقتنع به ينتهي حتماً إلى قبول الواقع كما هو . ما دام لا يعرف كيف يغيِّره ، وإذا حاول أن يغيِّره

فلن تكون مشمرة ، ويبقى الإنسان عبداً لجهله لا يعرف ماذا يفعل .
وقد اعتبر هذا الفكر الإحصائي مرحلة متخلفة فعلاً منذ أن اكتشف الإنسان
الذرة وعرف قوانينها وهي : التأثير والتأثر • • الحركة • • والتغير • •
وعرف ألا شيء ، بقلت من هذه القوانين لأن كل شيء ، من ذرات ، وأحس الإنسان
بها أنه حر حتى في أن يفلت من الأرض إلى الكواكب وأن يتخطى كل حاجز دون
إرادته .

غير أن الأمر لم يطل حتى عاد ذلك الفكر اليانس في مظهر أشد خطراً وخطورة .
وفي سنة 1927 حدث حدث علمي أثر تأثيراً عميقاً في البحث العلمي
والاجتماعي معا . في تلك السنة قدّم العالم « هازنبرج » بحثاً انتهى فيه إلى
القول بوجود قانون جديد من قوانين الطبيعة عرف باسم قانون « الاحتمية » .
فقد تخيل هازنبرج عالماً يحاول أن يحدد مكان وسرعة الالكترون الذي يتحرك في
الذرة لمعرفة قانون حركته باستخدام مجهر خيالي قوة تكبيره مائة بليون مرة حتى
تستطيع العين أن ترى الالكترون . ولما كان الالكترون أصغر من موجة الضوء ، فلا
بدّ للعالم من أن يستخدم إشعاعاً طول موجته أصغر ، والأشعة السينية ولو أن
موجتها أقصر من موجة الضوء ، إلا أنها عديمة الجدوى ، ولا تصلح لرؤية الالكترون ،
ولا تمكن رؤيته إلا باستخدام أشعة « جاما » التي تنبعث من الراديو ، ولكن
التجارب العلمية أثبتت أن أشعة الضوء العادي تؤثر بقوة كبيرة في الالكترونات ،
وأن الأشعة السينية تؤثر فيها بقوة أكثر ، فلا بدّ من أن تكون أشعة « جاما »
مدمرة لها . إذا فمن المستحيل تحديد موضع وسرعة واتجاه الالكترون في وقت
معين . فلا يمكن لعالم أن يقول أن الالكترون يشعل مكاناً بالذات لأنه أثناء
ملاحظته يكون قد غير من سرعته وبالعكس إذا حدّد سرعته بدقة فإن مكانه يتغير
ولا يتحدّد ، وعلى هذا فادق ما يستطيع أن يقوله أي عالم عن الالكترون هو أن
نقطة ما تمثل الوضع المحتمل له في مستقبل حركته . وانتهى هازنبرج من بخشه
الذي نال من أجله جائزة نوبل سنة 1932 إلى أن قانون « الاحتمية » ليس
راجعاً إلى نقص في العلم ولكن إلى ما أسماه الحاجز المطلق الذي يفصل الإنسان
عن الكون والطبيعة .

وقد تلقف اللاأدرسون هذا الكشف ليؤسّدوا به رأيهم في أن القوانين التي

يقال أنها تحكم الطبيعة محلّ شك كبير ، ويقول لنكولن بارنت مؤلف كتاب اثنتين والعالم ان نظرية هايزنبرج إذ تسمح بأثارة الشك من جديد تحيي فينا الأمل القديم وانضمّ ديراك مؤلف مبادئ الميكانيكا الكوانتية إلى السير آرثر أدنجتون مؤلف طبيعة العالم الفيزيائي ليقسما وجهة نظر كاملة على أساس هذا الكشف . فأعلن أدنجتون أنّ الطبيعة خالية من أي قانون حتمي وأنّ القوانين الحتمية لم تكن سوى مؤسسة على معرفة علمية كاملة . فإذا كانت الذرة لا تخضع للحتمية في حركتها فإنّ الرّوح الإنسانية تشبهها ولا يمكن الاعتداد بأي رأي يذهب إلى أنّ الفكر أكثر انضباطاً من الذرة .

قد يبدو هذا القول تأبيداً من البحث العلمي لحرية الإنسان وهذا غير صحيح . إذ أنه إذا كانت الطبيعة سلسلة من الاحتمالات بدون ضابط فليس ما يمنع أن يكون تفكير الإنسان سلسلة من التصوّرات بدون هدف ، وإرادته جهداً منوطاً بالصدف ، وحتى ولو تصورنا هدفاً معيناً فإننا نفقد الثقة في أن نحققه لأنّ معرفتنا الظروف معرفة غير حقيقية لكن الظروف غير خاضعة لقوانين بمعناها الحقيقي ، أي غير منضبطة بقوانين حتمية ، وهو ما يؤدي إلى سلب الإنسان حريته في تغيير حياته واختيار مستقبله وترك مصيره للصدفة . فما هي الصدفة ؟

إنّ أصحاب نظرية الصدفة يلقون بها رفضاً لأي انضاط سابق إلا أنّهم لم يقولوا ما الصدفة التي يعنونها أو . على الأصح . يتجاهلون ما وراء الصدفة من انضباط خشية أن يكون وراء « الصدفة » قانون للصدفة . لقد حلل أرسطو « الصدفة » وانتهى بها إلى أنها نتاج علل آلية بحتة . وقال « كورنو » أنها ناتج تقابل سلسلتين مستقلتين من العلل معيّنتين وتقابلهما ذاته معين . فما هما تلكما السلسلتان أو أي عدد من السلاسل العلوية التي يريد أصحاب « الصدفة » أن يحيلوا إليها أقوالهم « إنّ القول بالصدفة ليس قولاً نهائياً ولكنه خطوة تثير سؤالاً للبحث عمّا وراء « الصدفة » ، وهو لا يزيد من حيث الأساس العلمي عن الإستعمال الدارج لكلمة « الصدفة » ، عندما نعبر بها عن وقائع بسيطة لا نتعب أنفسنا في تفصي عللها كمقابلة صديق دون موعد سابق . وهو لا يعني أن الصديق ونحن كنا قبل الالتقاء نسير على غير هدى ، وإلى غير غاية ، ودون أن

تخضع خطانا لقوانين الفيسيولوجية على الأقل . فإذا كنا لا نعرف . ربما كسلا عن البحث عن المعرفة . تلك العلة التي وراء ما يبدو الصدفة . فإن هذا الجهل لا يصلح دليلا على جهل آخر بالقوانين التي تحكم الطبيعة . ولكنه قد يصلح دليلا على أن ثمة في الطبيعة ما يقتضي مزيدا من الجهد لمعرفة . إن الخطأ كله في شعار الهروب : « ما لا نستطيع تفسيره » يكون « غير قابل للتفسير والبحث العلمي أكثر من هذا تواضعا بكثير .

الخلاصة أن القول « باللاحتمية » ينقض الحرية . ويترك المستقبل لقدرة الصدفة .

عندما واجهت الحرية أزمتها في تحدي الاحتمية هرب الوجوديون من المعركة بقيادة سارتر حيث رأى أن الماضي الذي عبأه برجسون وراء الإنسان ليطلقه قذيفة حرة علينا على حرية الإنسان . فأعدمه . والعده والإعدام والتلاشي والملاشاة عن سارتر والوجوديين أمر يسر . فما على الوعي إلا أن يفرز العدم كما يقول سارتر فيصبح الموجود غير موجود ويصبح الإنسان حراً لأن الحرية هي الكائن البشري الذي يفرز عديمه الخاص فيستعيد ماضيه كما يقول سارتر في كتابه « الوجود والعدم » . ويستطرد سارتر المسألة فيقول إنه كان قد ضرب لصديق موعدا في أحد المقاهي ثم وصل متأخرا عن موعدته يكون المقهى مليئا بالمقاعد والمناضد والناس . ولكنه إذ يبحث عن صديقه يصيح كل شيء « غير صديقه غير موجود » أي أن العدم والوجود . عند سارتر . عدم وجود بالنسبة إلى كل إنسان على حده . وطبيعي بعد هذا أن لو عثرت قدم سارتر بأحد المقاعد ونسي صديقه لحظة فإن المقعد اللعين سيدخل الوجود ويذهب صديقه إلى العدم . على هذا الأساس تقوم فكرة الحرية في الوجودية . فالحرية تبدأ بالانفصال عن الماضي عن طريق اعدامه . وبذلك توجد الحرية في مواجهة الماضي طبعاً . ولكن سارتر بعد أن حرر الإنسان من ماضيه خشي أن يتقدم به خطوة إلى المستقبل حتى لا يصطدم بتلك « الموجودات في ذاتها » وقوانينها الحتمية ويكون مضطراً لتحديد علاقة الحرية بكل تلك القوانين المتشابكة . فتوقع في الوعي . قال إن الحرية « شروع » . والشروع في الوجودية مجرد اتجاه النية إلى الفعل دون محاولة الفعل ذاته . إنه اتجاه الإرادة أو القصد أو الاختيار . أما الحصول على الغاية . أو حتى مجرد الحصول عليها

فيخرج عن الحرية . فالسجين يحقق حريته بمجرد أن يريد الهروب ويكفيه . ليصبح حراً . أن يختار الهروب . وهذا لا يعني أنه حرّ في أن يهرب فعلاً ، أو أنه لا يكون حراً إلا إذا هرب من سجنه ، فإنّ تحطيم الأغلال ليس لازماً للحرية ، إنّما الحرية في الرغبة العقيمة في أن تحطم "لأنّ الحرية نقص في وجود معطى وليس انبثاق لوجود مليء" . كما قال سارتر في "الوجود والعالم" . وهكذا تتمثل الحرية عند سارتر في موقفين : في مواجهة الماضي بالإنفصال عنه وإعدامه في الوعي . وبذلك يكون الإنسان حراً إذا ، كلّ ضغط يأتيه من ماضيه ، أو من الظروف ، إذ بالإنفصال يتلاشى الماضي وتتلاشى الظروف ويبدأ الإنسان موجوده نفسه وفي هذا حريته . وفي مواجهة المستقبل يكون الإنسان حراً في أن يختار أو أن يريد أن يقصد دون قيد حتّى من الإمكانات . إنّ شيئاً لا يحدد له ما يختار فهو حرّ ، لأنّ الأمر كلّ لا يعدو أن يكون اختياراً فكرياً . حتّى البواعث والدوافع لا تؤثر فيما يختاره لأنّ الإنسان حرّ في أن يختار البواعث التي تعجبه . ولم يحاول سارتر أن ينتقل بالإنسان خطوة إلى المستقبل ومن هنا نفهم ذلك الإطلاق الذي يصفيه سارتر في تعبيرات مغرية . على مفهوم الحرية . فهي إذ تكون رفضاً للماضي وسلبية بالنسبة إلى المستقبل تظلّ مقصورة على فكرة داخل الوعي تتعد بوجوده . ويتخذ سارتر من هذا مبرراً لرفع شعاراته البراقة من أن الإنسان هو الحرية ذاتها وأنه لا يملك إلا أن يكون حراً .

لقد كانت حرية الإنسان عند برجسون في انطلاقه قذيفة يدفعها الماضي إلى حيث لا تدري ، ثم أصبحت عند سارتر قبلية "قلقة" في أحسانها المقدرة على الانفجار ولكنها ملقاة في مكان ما بين الماضي والمستقبل ، لا يدري أحد متى تنفجر ، ولا من تصيب بانفجارها . وهكذا هرب سارتر بالحرية من أي موقف فعلي . وتلك حرية تتفق وتناسب الضياع الأوروبي بعد حربين دمرت كلّ القيم ، وأحالت الحياة إلى شيء ، يشير "الغشيان" . ولم يكن الهروب والضياع في حاجة إلى تبرير أقوى من تلك الحرية الزائفة المفرغة من أية قيمة . وظلّ بناء المستقبل وإبداع الحياة في معزل عن حرية الإنسان ومقدرته . ومن لايهمه المستقبل ولا يريد أن يسهم فيه حرّ في أن ينفصل عنه ، عندئذ لن يوجد المستقبل ويصبح ذاته عدماً .

الضرورة ، إذن شرط للحرية ، وفي ظلّ القوانين العلمية الحتمية يمكن أن يكون

الحديث عن الحرية شيئاً جديداً ، غير أن سبيلاً من النظريات الأوروبية انطلق من الضرورة ليلغى الحرية ، ولا شك في أن ظاهرة عدا ، التيارات الرئيسية في الفكر الأوروبي . في القرنين الأخيرين . الحرية الإنسان تشير الإنتباه وتستحق الدراسة . فلعن السيطرة الأوروبية على شعوب العالم كانت في ضماير الفلاسفة الأوروبيين الذين ناقشوا فكرة الحرية على كل وجه ما عدا وجهها الذي يوفر للمستعبدين في الأرض الثقة في مقدرتهم على تقرير مصيرهم ، وتحقيق هذا المصير على الوجه الذي يريدون . والإنكساف نفس أن الذين اختاروا الحرية للإنسان أحالوها حالة فكرية أو نفسية معزولة عن ظروفه ، والذين انتبهوا إلى الظروف أسقطوا الإنسان من حسابهم ، ومن تناول الحرية من حيث الإنسان . كجورج جوسدروف في كتابه "المفهوم الإنساني للحرية" سنة 1962 . وجد نفسه مكرها على كشف ما في ضماير الجميع فقال أن الحرية التي يعينها لا تفهم إلا منسوبة إلى الرجل الأبيض والمدنية الغربية .

ومن قبل جوسدروف قال اسبينوزا في كتابه " الأخلاق " إن النفس لا تنطوي على أية إرادة حرة أو مطلقة ، بل مجبوزة على أن تريد هذا أو ذاك بمقتضى علة هي أيضا مشروطة بعلة أخرى . وهذه العلة بدورها محددة بعلة ، أخرى ، وهكذا إلى ما لا نهاية . وقال فولتر في كتابه " تأملات في الحكومة " إننا عجالات في آلة كبيرة " وقال هربورت سبنسر في " مبادئ علم النفس " " إذا ما عطينا بالحرية أن نفعل ما نريد ، فأننا أحرار لأننا نفعل دائما ما نريد ، ولكن الواقع أننا لا نستطيع أن نفع لغير هذا ، لأننا لا نستطيع أن نريد ، وقال في كتابه " الإنسان والسلطة " " إن الوهم الكبير الذي سيطر على الماضي كان الحق الإلهي للملوك والوهم الكبير الذي سيطر على الحاضر هو الحق الإلهي في الديمقراطية " وقال أوجست كونت في " علم الاجتماع " إن الحممية الإجتماعية صلبة إلى حد أن المشرعين أنفسهم يخضعون لها ، سواء علموا هذا أو لم يعلموه ...

وقد بدأ الإلتفات إلى الضرورة وعلاقتها بالحرية بإلغاء الحرية إلغاء تاما ، واعتبرت الضرورة نفيا للحرية . كان ذلك تيار الضرورة الميكانيكية الذي تأثر بالنهضة العلمية واكتشاف قوانين الطبيعة ودقة انضباط الحركة في الكون ، فلم يتصور في الإنسان إلا جزءا من الكون نفسه لابد أن يخضع في حركته ومصيره لما

تخضع له النجوم والكواكب ، أمّا الفكر الذي يميّزه فان المخ يفرزه كما "تفرز الكبد الصفراء" كما قال "كارل فوجت" . ولما كان الإنسان يبدو عصبياً على ذلك الإنتضاب الميكانيكي فقد خلق المفكرون الأوروبيون كائناتاً مختلفاً عن الإنسان الفرد أسموه "المجتمع" . ويوضح دوركهام هذا "الكائن" في كتابه "قواعد المنهج في علم الاجتماع" فعنده إمّا اجتماع أشخاص في مجتمع معيّن يخلق ظاهرة جديدة مغايرة لمجرد الجمع بين الأشخاص وهو المجتمع . ودليله على هذا أننا إذا أخلطنا النحاس بالحديد أصبح التركيب برونزا ، ولما كنّا لا نستطيع أن نعرف خصائص البروز بدراسة خصائص الحديد أو خصائص النحاس بل يجب أن ندرس البرونز ذاته ، فأننا لا نستطيع أن نعرف المجتمع بدراسة أحوال الأشخاص الذي يتكوّن منهم . صحيح أنّ دوركهام قد تجاهل أنّ المجتمع إضافة إنسان إلى إنسان أي تكوين من نوع واحد ، كإضافة الحديد إلى الحديد أو النحاس إلى النحاس وليس تركيباً من نوعين ، غير أنّ هذا لم يمنع المذاهب الفكرية الأوروبية التي ارتضت الضرورة نظاماً للحياة ، من أن تهرب من مواجهة مشكلة حرية الإنسان الفرد ، وركزت على ذلك "الكائن" الذي بلغ الإنسان وهضمه ، وقبّله ، فصار مخلوقاً جديداً أسموه المجتمع ، في مقابل أولئك الذين اختاروا الحرية الفردية فأفكروا بالضرورة ، فأصبحت الحرية على أيديهم وهما منوطاً بالصدفة أو شروعا نفسياً لا يجاوز الذات إلى الحركة . ولما فطن بعض المفكرين إلى عجز تلك الضرورة الميكانيكية ، التي تنقض الحرية على أساس العلية ، وتجعل من السبب محركاً كافياً دون الإرادة ، عن تفسير ما يحققه الإنسان من معجزات ، اكتشفوا "الجدلية" تفسيراً لعملية الخلق .

لقد قدّم هيجل أعمق الحلول لمشكلة الحرية والضرورة بمحاولة ربطهما فعرّف الحرية بأنها اتباع الضرورة ولكنه كان يفهم الضرورة على أنها ضرورة تطور الفكر المطلق ، فقد كانت الحرية في مذهبه متحققة في عالم الروح فقط . قال في "فلسفة القانون" إنّ حرية الإرادة تبدأ بأن تحقق نفسها في الواقع حتّى لا تظلّ مجردة . ولكنها تدرك أنّ هذا التّجميد الفردي في الواقع قيد عليها . فتحاول أن تصبح أكثر شمولاً ، بأن تتحد مع حريات الآخرين فتصبح حرية جماعية في صورة العائلة . ومن التناقض بين الحرية من ناحية وانحصارها في الواقع العائلي من ناحية أخرى ،

تتجه الحرية إلى مزيد من الشمول لتتحد في حرية المجموع التي تمثلها الدولة . وهكذا تصبح حرية الدولة في أن تفعل ما تشاء ، هي أرقى ممارسة للحرية الفردية ذاتها . ولما كانت الدولة تمارس حريتها بمجموعة من القوانين فإن القوانين هي مصدر الحرية يقول هيجل في "فلسفة القانون" " إن الرأي السائد حاليا أن حرية كل فرد محدودة بحرية الآخرين ، وأن القوانين تمثل هذه الحدود ، وأن الحياة الإجتماعية هي هذا التحديد المتبادل للحريات . والحرية على هذا الوجه ليست إلا تحكما فإن القانون لا يحدد الحريات ولكن يضعها . وكل قانون هو الحرية بذاتها لأنه يتضمن إرادة الروح الكلية

فالمجدلية الهيكلية ، بعدان قالت بالروح الكلية أو الفكر المطلق ، وأضفت عليه صفة الكمال الذي لا كمال بعده ، ضبظت حركته على قوانين حتمية هي قوانين الجدل ، فاصبح المستقبل كله من صنع الفكر المطلق الذي هو شيء غير فكر الإنسان . عندئذ فقد الإنسان شيئا يستطيع أن يريده أو أن يفعله ، أي فقد الحرية . ولما كانت المجدلية المادية قائمة على أنقاض المجدلية الفكرانية (الهيكلية) فقد اجتهدت في تجاوز القصور التي وقعت فيه المجدلية الهيكلية بأن رسمت العلاقة بين الحرية والضرورة . فببعض تأخذ بالضرورة أساسا فأنها تعترف في الوقت نفسه بإمكان حرية الإنسان . فحرية الإنسان الحقيقية ليست في الانفصال عن قوانين الطبيعة والمجتمع ، بل أنها تكمن في معرفة تلك القوانين والعمل على أساس تلك المعرفة . إن الناس ليسوا كائنات فوق الطبيعة ولا يمكنهم أن يتحدوا حدود القوانين الطبيعية أكثر من قدرتهم على تفادي التنفس وفوق هذا فإن الناس يعيشون في مجتمع ولا يمكن أن يفلتوا من قوانين الحياة الاجتماعية . إنهم لا يستطيعون أن يعرفوا قوانين الطبيعة والمجتمعات ، وعن طريق معرفة طبيعتواتجاه عملها يمكن أن يستخدموها في سبيل مصالحهم أي أن يضعوها في خدمتهم . بقي أن نعرف ماهي الحرية ؟ وكيف يضع الإنسان قوانين الطبيعة في خدمته ويستعملها استعمالا هادفا إلى غاية ؟ .

عند الإجابة عن هذا السؤال تسقط المجدلية المادية الإنسان الفرد عن المجتمع في حديثهم عن الحرية . وعندما يصبح المجتمع غير الإنسان تصبح حرية المجتمع

في قوانين تطوره ذاتها أخذا بمبدأ الضرورة ويقف الناس عاجزين حيال تلك القوانين لأنهم كما قال أفاناسيف "لا يستطيعون أن يلفوا قوانين التطور الاجتماعي ، أو أن يخلقوا قوانين غيرها ولكنهم قادرون على فهم تلك القوانين والضرورة التاريخية ، ومن خلال علمهم بالضرورة يأخذون أماكنهم في حركة التاريخ " .

إذن لقد أسقطت الجدلية المادية الإنسان الفرد في مجال البحث عن الحرية ، ثم أصبح دور الناس في المجتمع ، لا أن يغيروا مجرى تاريخهم ، ولكن أن يأخذوا أماكنهم في مجرى الحركة التاريخية . وكيف يتحرك التاريخ ؟

... خلال الصراع الطبقي . وما الذي يحدد الطبقات وغايات صراعها واتجاه التاريخ نفسه ؟ ... ملكية أدوات الإنتاج . وهكذا يتعدّد إتجاه التاريخ وتوالي إحداثه طبقا لضرورة التطور في طريقة الإنتاج المادي . ولا يمكن للإنسان . ولا للمجتمع . أن يغيّر هذا الإتجاه أو أن تشظى طورا منه إلى الطور الذي يليه لأن المبدأ الأساسي في التطور التاريخي "ليس وعي الناس هو الذي يحدد وجودهم بل العكس إن وجودهم الاجتماعي هو الذي يحدد وعيهم" .

كلّ هذا منطقي مع نفسه لأنه تطبيق لمنطق فكري واحد ، هو أن أفكار الناس (آراءهم ، ورغباتهم ، وإراداتهم) متجذّرة انعكاسا للمادة <http://www.archive.org/details/...> وتطبقا لقوانين الجدلية المادية ، يكمن التناقض والصراع الجدلي في المادة ، وتتطور به غير متوقفة على أفكار الناس ، التي تتطور تابعة لما هو متطور حتما بدونها ومن هنا تكون حرية الإنسان وحرية المجتمع في أن يفهموا إلى أين يتجه التاريخ ثم أن يتجهوا معه أو أن يأخذوا أماكنهم في حركته .

وقد وقع التراجع في هذا الرأي منذ 1965 السند في ذلك التجربة فلم تعد الضرورة كأساس للحرية نظرية تصلح لتفسير مفهوم الحرية في كلّ زمان ومكان ، ولكنها مقصورة على تفسير الحرية في التاريخ الذي انقضى . أما التاريخ الحديث فإن "الإنسان قد خرج به من عهد الضرورة إلى عهد الحرية" وأصبح الناس قادرين "لاعلى إخضاع قوانين الطبيعة لإرادتهم فحسب ، بل وإخضاع الأحداث الاجتماعية أيضا كما قال أفاناسيف .

إذن ما هي الحرية التي أفلتت من الضرورة ؟ وما هي حرية الإنسان في علاقته

بالطبيعة ؟ وما هي حريته في علاقته بمجموعة من الناس (أسرته ، زملاء العمل ، وطنه ، مجتمعه ...) ؟ وما حرية مجتمع معين في علاقته بمجتمع آخر ؟
إننا لا نستطيع أن نعرف حرية الإنسان على أساس " الضرورة المادية " أو قوانين الطبيعة لأن حركة الطبيعة لا تفسر حركة الإنسان للاختلاف النوعي بينهما . ولا نستطيع أن نعرف حرية الإنسان على أساس " الضرورة الإجتماعية " إذا افترضنا أن المجتمع شيء غير الإنسان أو على الأقل إذا عرفنا حرية الإنسان داخل المجتمع . وإذا كانت " الجدلية المادية " وتطبيقاتها النظرية قد أسقطت الفرد وأحات المجتمع محله ثم قالت أن الحرية هي إتزام قوانين المجتمعات في تطورها واستخدام الناس لها " استخداما هادفا إلى تحقيق غاية ثم عادت فقالت " من المسلم به أن كل شخص مقود في أعماله ببواعث خاصة إلى غايات خاصة والسؤال الذي يطرح هو : لماذا يكون لكل شخص بالذات تلك البواعث والغايات وليس غيرها ؟ ثم أنه حتى المعرفة السطحية بالتاريخ تكشف عن أن غايات ومصالح مختلف الناس وبالتالي أفعالهم قد تصادمت دائما ، وأن النتيجة لهذا التصادم كثيرا ماتختلف اختلافا بينا عما كان يهدف إليه أي شخص بعينه " وهكذا جردت الإنسان وبواعثه وغاياته من إمكانية " أن يفعل ما يريد " وعادت إلى أصلها لتقول أن الإنتاج المادي هو الذي يحدد للناس بواعثهم وغاياتهم وبالتالي أفعالهم ، إذا كان هذا هو منطق الجدلية المادية فإن الحرية تعني أن الإنسان قادر على أن يفعل ما تريده له الطبيعة المادية وحرية محصورة في أن يتبعها وهو ذات ما قاله هيربرت سبنسر " إننا لا نستطيع أن نريد ما نريد " .

كل هذا يجعلنا في حاجة إلى أن نبحث عن أساس علمي جديد للحرية ، حتى لا تترك حياة الناس وحررياتهم لمخاطر الإجتهد في الممارسة . إن المعرفة العلمية للحرية تجنب الإنسان من الوقوع في مخاطر التجريب وتخرجه من الأزمة التي ورثها عن " الجدلية المادية " كما تجعله يواجه الكشف العلمي الحديث ونعني به " الاحتمية " الذي يتجمع حوله ويحتمي به كثيرون تبريرا لسلوكياتهم ، إذ لو كانت حركة الإنسان مبنية على قانون " الاحتمية " كما قال به هايزنبرج لكان مستقبله متوطنا بالصدف .

المصادر والمراجع

- 1 - بهجة المعرفة - المجموعة الأولى : ج 1 العلم : الشركة العامة للنشر والتوزيع والإعلان.
- 2 - فلسفتنا : محمد باقر الصدر : الطبعة الخامسة - دار التعارف للمطبوعات.
- 3 - برجسون : حياته، فلسفته، منتخبات : سلسلة زدني علماء رقم 25 - منشورات عويدات.
- 4 - المنطق الشكلي والمنطق الديالكتيكي : لينين : الطبعة الأولى - دار النهضة العربية - بيروت .
- 5 - عالم المعرفة عدد 48 - التنوير العلمي ومستقبل الإنسان
تأليف د . عبد المحسن صالح.
- 6 - عالم المعرفة عدد 112 - العلم والمستغلون بالبحث العلمي في المجتمع الحديث
تأليف د . جون . ب . ديسكون
ترجمة شعبة الترجمة باليونيسكو .
- 7 - عالم المعرفة عدد 134 - العلم في منظوره الجديد
تأليف روبرت . م . اغروم وجورج . ن . لستاتيسيمو
ترجمة د . د . كمال خلالي.
- 8 - عالم المعرفة عدد 140 - الإنسان بين الجوهر والمظهر
تأليف : إيريك فروم
ترجمة د . د . سعد زهران.
- 9 - عالم المعرفة عدد 165 - الفلسفة المعاصرة في أوروبا
تأليف . إ . م . بوشنسكي
ترجمة : د . د . عزت قرني.

موقع : "إتحاف أهل الزّمان "

في الفكر التاريخي المعاصر !..

بقلم : يحي محمد

تمهيد :

ما يزال "إتحاف أهل الزّمان بأخبار ملوك تونس وعهد الأمان لأحمد بن أبي الضياف محط أنظار الباحث الدارس لخصائص مرحلة غزيرة بالأحداث الجسام التي اهتمّ بها هذا الشاهد الحصيف الذي استطاع أن يغوص في دقائق رقيقة من - تاريخ تونس - بكثير من الجراة الأدبية والتاريخية اضافة إلى ما تميّزت به شخصيته من احاطة واعية بالأحداث وقدره أدبية متمكنة من ترويض الحدث وتأريخه بجلاء رؤية معاصرة ، وهكذا ندرك مستوى الرسالة الخطيرة التي تحملها "ابن أبي الضياف " في اطار محاورة كينونة الحدث طبق مبدأ المعاصرة ومن خلال ما امتاز به فكر المؤرخ بلا محاباة أو تأثير خارجي ...

إن تناول الحدث التاريخي يمثل هذا المنحى الفكري جعل المؤرخ يحضى بمنزلة مرموقة - في الفكر التاريخي المعاصر - فهو شاهد عيان أخضع قلمه للقول الصادق ، والحق الواثق ، فقد كشف عن مظالم كثيرة في الحكم الفردي الوراثي ، إبان العديد من الحقائق المؤلمة التي دارت في " الفلك الملكي الإستبدادي " فالرجل كان صادق الرؤية يتابع الأحداث بكثير من الفطنة والإحتراز .. فقد نالت بعض المؤلفات الحرق والإتلاف - مثلما - حدث للجزء الرابع من الحلل السندسية في عهد "علي باشا " المتسرّد على عمّه حسين بن علي باي تركي ... وغير ذلك من المكائد والدسائس التي كانت تتبع خطى الصادقين أمثال مؤرخنا الكبير أحمد بن أبي الضياف !.

الخلفية الفكرية :

لا شك أن "أحمد بن أبي الضياف" قد حرص كل الحرص على تدوين الأحداث في زمانه محجماً على عدم إظهار مؤلفه للناس أي طبعه وترويجه في حياته... (1) . وهذا الموقف الفكري في نظرنا مستوحى من نزعة التواصل التي تغمره كي لا يتعرض إلى نفس المآل الذي تعرض إليه أي "نص تاريخي" في مثل غطه وتحليله ! فالكشف عن الثورات والمظالم ليس بالأمر الهين زمن الحكم الاستبدادي ، كما أن ذكر الحقائق التاريخية المرة المتعاقبة على هذه البلاد يحيل المؤلف على سوء العاقبة وطمس التحليل الذي يروم تقديمه . الفكر التاريخي المعاصر . . لذلك اهتم المؤلف بصيانة تأليفه من التحريف والإنذار حيث لا يعرفه إلا خاصة الخاصة من الباحثين الأماناء ... واليوم يمكن للباحث أن يتعمق في الخلفية الفكرية . لابن أبي الضياف . من منطلقات وقراءات حديثة تأخذ المسألة التاريخية في عصره من زوايا متعددة حتى يكرم هذا الكاتب ببحوث منهجية منطقية تبعث الحياة في مؤلفه البارز لمطالعة وتحليل أبعاده لمختلف الأجيال .

إن إحجام المؤلف عن طبع كتابه في حياته كان استجابة لخلفية فكرية تتم عن وطنية صادقة ووفاء . أمين لهذا الوطن *إذ وئنا امتدّت يدا* الإنقاذ والإزالة من رجال الدولة من الملوك والأمراء والحضوة بغية نيل المراتب لذلك فضل الكاتب المحصيف أن يبقى تأليفه حبس الخزان ... لأن الحقائق التاريخية التي تناولها بالشرح والتحليل لا تعجب أهل الحلّ والرّبط ... إذ قد نال . الجز . الرابع من (الحلل السندسية) الإحراق من قبل . علي باشا . الثائر على عمه حسين بن علي كما أن اختفاء . الكتاب . عن أنظار عيون السلطة قد ساعد على حفظه اعتباراً إلى أهمية مضمونه التاريخي الذي أفاد الكثير من الباحثين والدارسين لا سيما التعمق في الأسرار الدقيقة للوقائع والأحداث في ضوء ما ران على الخلفية الفكرية والتاريخية في هذه البلاد خلال مراحل جلي بالدّسائس والمكائد ... ففي اختفاء الكتاب رحمة ينعم بها الجيل والنخبة المثقفة الواعية بالعوامل والأسباب والدلالات التي من شأنها أن تركت "الإتحاف" بعيد المنال لا سيما مع وضوح المصادر التي كان . الشيخ ابن أبي الضياف . يستند عليها في تحليل مادته

التاريخية ورؤيته للأحداث ... (2) ! .

إن تفكير "أحمد بن أبي الضياف" من خلال "الإتحاف" يدل دلالة واضحة على عمق صلته بواقعه وبالتركيبة الفكرية والاجتماعية والسياسية التي تفهم أبعادها مما يجعله يحتل مرتبة عالية في تناول أحداث التاريخ الحديث بعيدا عن التأويل والإفتراض وشئى التصورات ... بل لعله ينير بهذه الحلفية الفكرية . العقل التاريخي . لا سيما فهمه الدقيق بأسرار الإنحلال السياسي وتشعب الخلاف بسبب الصراع على امتكاك السلطة ... وقد كان فكره يرقب الآمال والتطلعات ولا دال على ذلك من محتويات كتابه "الإتحاف" بل يعد المرجع الأساسي في تاريخ بلادنا للبحث في فترة عويصة من أعقد وأخطر الفترات ... فهو قد وقّر للباحث الوثيقة الرصينة . وقد أشار الأستاذ المنصف الشنوفي إلى تفكير أحمد بن أبي الضياف في معرض حديثه عن - المرأة - وفي ضوء بعض الإفتراضات العقلية ... (3) أي من وجهة أن هذا المؤرخ قد تحدث في كل مسألة إنسانية واجتماعية كما تتضح صورته في كتابه : " إتحاف أهل الزمان بأخبار ملوك تونس وعهد الأمان " إذ اشتمل محتواه كما هو معلوم على "الملك وإضافة في الوجود ، والإمام بأمراء إفريقية . بالأخبار والأثار وتراجم الأعيان من الأمراء والوزراء والكتاب وغيرهم .. والنظام السياسي في تونس في القرن التاسع عشر ... وكل أوجه النظام التونسي . وأسلوب الأعمال والحياة ومسالك الإصلاح وعلاقات تونس المختلفة في الداخل (3) والخارج برؤية ثاقبة وإحاطة شاملة .

إن " إتحاف ابن أبي الضياف " كان دلالة نيرة من دلالات الوعي بمتغيرات الإنسان التونسي وحيرته ، كما كان انبثاق فكر من يافع هذه الأرض المعطاء ، وتاريخه كان علامته حية من علامات البر بهذا الوطن الذي كتب حوله فيما ساه وما تضمنته مرحلة حاسمة من مراحل حياته في علاقاته وكيونته في غوص طبيعى في مجمل ما تأثرت به تونس آنذاك ... لذلك اعتبر "أحمد بن أبي الضياف" من المصلحين التونسيين لحما ودما ... بقطع النظر عن قيمة ما ألّفه غيره قبل وبعد حياته ... فلو لا غيرته وتعلقه بالإصلاح لما اختار تدوين مرحلة من أعقد المراحل التي مرّت بها بلادنا في حين انغمس من كان مثله في المهمات ورغد العيش .

فهل ننظر اليوم إلى تاريخ ابن أبي الضياف - نظرة أخرى ، بقراءة جديدة تستطلع الأفاق والرهانات المعاصرة ، في عصر التقدم والطفرات الغزيرة بالفن والصراعات المختلفة .

إننا أمام مدونة تستنطق الكثير من أبجديات العصر مع مؤرخ لم يترك شاردة ولا واردة إلا أعددها وأحصاها ... فقد صاغ نصوصه من واقع حيّ ملح يستوضح صدق الإضافة ، وبيل الومضة ، مع شهادات العصر ودلالاته على امتداد الزمن ... فأني قراءة جديدة لتاريخ ابن أبي الضياف اليوم في ضوء المتغيرات والتحوّلات المعاصرة ؟

انطلاقاً من المهرجان الذي يحمل اسمه ... هذا المنهج الفكري الذي يؤسّس له يمكن أن تخصص دورة من دوراته للتعمّق في " منظومة ابن أبي الضياف : الإنسان ، والوطن ، والتغيير ... ! أي تحليل مخزونه التاريخي العام وموقعه المميز في الفكر التاريخي المعاصر ...

إن أحمد بن أبي الضياف - كان اسهاماً في حركة العقل والكون ... في تحليله لمختلف الصراعات وشتى التجديبات المتناقضة ، تجديد أجدانها وأسبابها وعواملها في المكان والزمان . وهكذا نجد "إنحاف أهل الزمان" دلالة معرفية في فهم الواقع وقراءته قراءة تجاوزت حاضره إلى مستقبله في منطق هذا الزمن الذي لا يعرف التوقّف !

إن موقع "إنحاف أهل الزمان" يحتلّ مكانة في الفكر التاريخي المعاصر لاشتماله على الأسانيد الداخلية والخارجية عبر نصوص الإتفاقيات والمعاهدات .. على أن كتاب "الإنحاف" هذا وصفت مخطوطاته التي يرجع إليها في البحث والتحليل ... (4) وهو ما بثبت أهمية هذا التأليف من حيث صلته بفلسفة التاريخ وفنون الآداب والعلوم والاتّصال لاسيّما قراءته بفكر معاصر يؤلّد ويستنتج ويضيف الكثير من المآثر والمصطلحات المتداولة اليوم في تطويع القراءة التاريخية وفق الأغراض البعيدة ، والمهام التي كان المؤلف يطمح إليها من وراء تبليغه للناس شتى الوقائع والأحداث لا سيّما والمجتمع التونسي في تلك المرحلة كان مجتمعاً ينشد الإستقرار والتوازن . وهي النظرة التوفيقية التي يحرص المجتمع التونسي

المعاصر اليوم على أتباعها . إذ هي مندرجة في الفكر التاريخي المعاصر والسمات المميّزة لهذا المجتمع الذي أعطى به " أحمد بن أبي الضياف " فلسفته وفكره وأساليب رؤيته للحياة ...

إن تاريخ "الإتحاف " جدير بالقراءة الواعية ، والدراسة الشاملة وفق المنهج الذي ابتعد " المؤرخ عبد الرحمن ابن خلدون " فهو يشكل وحدة متكاملة في فهم الخلفية الفكرية في عصره ومجمّعه وتحليل التصوّرات الحديثة لعلم التاريخ وطرق تدريس في الجامعات والشعب المتخصصة ... لذلك يكون من المتأكد طرح هذه الإشكالية العلمية على المهتمّين من الجامعيين الباحثين ، وتونس اليوم لها من الخصائص المتميّزة ما يؤهلها لأخذ المكانة اللائقة والموقع العلمي لتدريس (الإتحاف) وتاريخ (ابن خلدون) و (أقوم المسالك) إضافة إلى مختلف المراجع الأساسية . مثل - مؤلفات المؤرخ الكبير حسن حسني عبد الوهاب وغيره ... أي إمكانية إعداد منهجية موحدة متكاملة حول " تاريخ تونس " وذلك بفُسح المجال أمام الباحثين لإبراز بحوثهم العلمية ، وإبداعاتهم بهذا المفهوم الذي يجمع المصادر ويحلل المنابع حيث - الإتحاف - في الطليعة والله وليّ التوفيق .

ARCHIVE
<http://Archivebeta.Sakhrit.com>

الهوامش :

- 1 - من تصدر "النشرة الثانية " . لكتاب الإتحاف - للمؤرخ الوزير أحمد بن أبي الضياف . بقلم الفاضل الأستاذ محمد شمام .
- 2 - كتاب: الحلل السندية . للوزير السراج . والكتاب الباشي . للوزير حمودة بن عبد العزيز .
- 3 - نص نشرة الأستاذ المتصف الشنوفي في العدد الخامس من مجلة "حوليات الجامعة التونسية" في 1968 ص 49 وما بعدها بعنوان : (رسالة أحمد بن أبي الضياف في المرأة) .
- 4 - نسخة خطية بمكتبة - المجلدونية - رقم 73 . بتاريخ 1319 هـ . و 1951 م (دون ذكر تاريخ النسخ أو اسم الناسخ) وهي نسخة كاملة في مجلدات أربعة - مجموع صفحاتها 1139 . كما توجد نسخة أخرى بالمكتبة العبدلية - تحمل الأرقام التالية : 6494 . 6495 . 6496 . 6497 . وأيضاً نسخة لدى السيّد محمد القروي الذي تولّى رئاسة (محفوظات الوثائق التونسية) منذ أكثر من سبعين سنة . وكذلك (المسودة) المجلدة في 273 صفحة لدى السيّد علي بن أبي الضياف أحد أحفاد المؤرخ الخالد الذكر وهي بخطه طبعاً !

تمظهر الذات في الشعر الحديث

آدونيس نموذجاً

بقلم : محرز الزين

اعلم أيها الشاعر العظيم أنَّ الشاعر من يشعر بجوهر الأشياء ، لا من بعدها ويحصى أشكالها وألوانها ، وأن ليست مزنته الشاعر أن يقول لك عن الشيء ، ماذا يشبه وإنما مزنته أن يقول لك ما هو .
العقاد

ظلت الفاعلية الشعرية العربية إلى عهد ليس بعيد تخضع إلى ضوابط النقد الأدبي الموضوع لها والمستنيط اعتماداً على تراكم أشعار الجاهليين وبعض الإسلاميين ورغم الوفرة التنبؤية لهذه المؤلفات بقي التنبؤ النقدي يسعى إلى محاصرة الشاعر بجملته من القوانين والضوابط التي جعلته قصراً أو اختياراً بنهج مناهج التقليد ويخضع إلى تجربة الجماعة . فأظهر الشاعر لذلك ما يجمعه مع المدونة وأخفى ما يفرد أو على الأقل كبح نوازع هواه في أن يتفرد . إنه يدخل في عمل وهو يعلم مسبقاً أنه يكتب المعاني المعهودة « الملقاة على الطريق » على حدّ تعبير الجاحظ . المستخدمة سلفاً ، يكتب وهو يعلم أن مجال إبداعه هو لعبة الآداء اللفظي أو الإجراء ، اللغوي ، إنه يعلم من الأول أنه واصف لأمر وصفا يعجز عنه غيره وفق وزن معين وهيكلية واضحة . فكان على المحدثين عندما أرادوا التجديد تجاوز النظر القديمة في القول الشعري والتأسيس لمنظور حديث براعي المرحلة الحضارية والتاريخية والثقافية . ولما كان الأمر كذلك ، اصطدموا أول ما اصطدموا باصطناع الموروث بصيغة جماعية قوامها التنوع من داخل منظور واحد ، فأكدوا أن كسر ذلك لن يتم إلا إذا وجدت الذات الشاعرة متصرفاً للبروز والظهور

، فالشعر ذاتي ليس لأنه يصدر عن ذات تعي وتخلق فحسب بل لأن أداته أيضا انفعالية مجازية وليست عقلية علمية .

لقد برزت في العالم العربي عدة مفاهيم حديثة ساعدت الفن بصفة عامة والشعر بصفة خاصة على الإعتناء بالفرد والإيمان بقدرته وإمكاناته ونذكر منها خصوصا ظهور مفهوم المواطنة بعد التجربة القومية. يقول يوسف الخال « الشعر فنّ والفن لا غاية له غير التعبير عن الذات في لحظة الكتابة والرؤيا .. ومهمته التّفاذ في ما وراء الظواهر المتناقضة المشوّشة المبهمة ليكشف بالحنس والرؤيا أسرار الوجود » . وأكد أن هذا التأكيد على مفهوم الذاتية ينبع من شعور عارم بسعة الذات الحديثة التي يمكن أن تصير استكناها مخصوصا للواقع أو الحياة أو الوجود لعلّه بحث عن التّعقيد المعبر عن الذات وفي المقابل رفض للإلتفاف العقيم حول زاد فارغ بعيد نفسه كلّما أحسّ بأزمته وسيطر على المستهلك بأمر خارج عنه ولكن الشاعر تجسّد هذا الزاد الثّقل يشعر بأنّ ذاته الطفلة يمكن أن تكون العالم لو أراد وطرح السّؤال ف : « كلّ العالم فيّ جديد حين أريد » .

لما لا ، مادام يرى الحياة نتاجا حضوريا حتميا لرؤيا أو رؤى ، فلا تكسب في ذاتها قيمة سوى ما يؤسسه لها الفعل « فقد تكون الحياة أضيق من ثقب صغير في كومة رمال » كما يقول أدونيس . ولكنّ الشّاعر إذا اكتفى ببشّته عن ذاته بهذا الوعي البسيط ولم يتعدّ وعيه إلى درجة أعقد من ذلك ظلّ حبس عقله وتنازل عن مقولاته من أنّ « الشّعر بعدو مغامرة بشرية » هو « مغامرة الإنسان ينطلق في البحث عن الحقيقة الكلّية ، التي لا تبقى في حدود ذاته بل تتجاوزها إلى كليّة التجربة الإنسانية سلاحه في ذلك تلك الرؤيا التي لا تستكين ولا تخضع إلّا إلى قوانين الإبداع والحرية والإنعتاق » وهذا قول أدونيس في كتابه زمن الشّعر .

وتفتّح الذات على هذا المخزون الثّقافي الإنساني مقوم أساسي من مقومات الوعي . هو وعي ذاتي لكنّه ذاتي المنشأ كوني المأل لأنّ الشّاعر بعده سينتسب إلى تجربة كبيرة يبحث فيها عن موقع له يخوّل الشعريّة عن طريق التعرية والكشف عن نفسه أولا وعن الحقيقة الكونية ثانيا لعلّ الموقع المنشود وجده أدونيس

فيما قاله تاريخه .

« قال لي تاريخي الغارس في الرقص جذوره

كلما غبت عن العالم أدركت حضوره » .

الشاعر يحضر في العالم وهو غائب رافض لموقعه فيه هذا النوع من الغياب
عدول عن السهل من الحضور الفني في العالم تمرّد على ما يشاكل نحو ما يخالف
مخالفة تعريّ المستتر الذي لن تبصره إلا بمجهر الشاعر :

« نهر العالم ارتوى

من سراديب رحيبه

أرضه منذ كوّنت

أطفأت شمعة الغد

قال عنه محمد دي

« أنا أجري بعكسه » .

قنوات الشاعر بهذه الصّفة ليست قنوات تكتفي بنقل المبصر بضرب من
التّحسيس اللّغوي والبلاغي بل هي تبنية من جديد وترتبط بروافد يكون مصبّها
المباشر ذات الشاعر ويكون هدفها المنشود الكشف عن حقيقة كليّة تطلّ دائما في
حاجة إلى الكشف كما يقول الشاعر الفرنسي رينيه شار . وهذا هو الخلق الشعري
إنّه إنشاء لرؤيا تتطوّر وتعيش وتسافر في العلاقة بين الحضور والغياب والنّسيج
الحاصل بين الموجود والمنشود وأصدق ما يمكن أن يعبر عن هذا قوله « غيورغي
غاتشف » في كتابه " الوعي والفن " عن ترجمة للدكتور نوفل نيوف « للشعر والفنّ
دائما علاقة بالإنسانية من منظور تطوّرهما اللّائنهائي الذي ينبع من الأبدية وإلى
الأبدية يمضي » . وما دام ينبع من الذات وفيها يبحث فلا ذات تعاد ولا تجرّية
تتكرّر .. فلكلّ ذات شاعرة وعي معيّن خاص بها ولذلك يكون الخلق الشعري معها
على درجة تختلف عن غيرها وعليه فإنّ الذاتية هي الميزة الكبرى للشعر .

لكن كيف عبرت الذاتية إلى أداة الشعر ؟

إنّه من البديهي بعد الوعي الحاصل لدى الشاعر وفهمه لمهنته في التعامل مع
الأشياء أن يستعمل الأداة الشعرية استعمالا مخصوصا ضابطها في ذلك المرونة

والإنطباع لانفعالات الشاعر لغة وإيقاعاً ودلالة .

إن الكتابة في حد ذاتها معجمياً هي اختيار مصبّه أساساً الذات الكاتبة ولكن هذا الاختيار في مستوى معين هو مهبطٌ لدلالات كثيرة لا يكتسبها أصلاً بل يأخذها من توظيف ذاتي داخل السطر الشعري من حيث موقعه ، إسناده ، ووقعه كلّ هذا لا يمتلكه اللفظ بل يكتسبه ويقده من ذات الشاعر « فلا وجود لغائية في الكلمة في حد ذاتها » . فالألفاظ لا تنقسم إلى شعرية وأخرى غير شعرية ، فعلى عكس التوظيف القديم للغة الذي يعبر عن عالم له نظام واضح يعيش فيه الإنسان انسانية موقنة ، كان النظام اللغوي الجديد نابعا من عالم يعجّ بالتساؤلات الحياة فيه ممترسة دائمة المغامرة ، فخروج اللغة من عالم خاص بها إلى واقع الذات وجعلها توطد صلتها بالإدراك والمعاناة وبذلك تتعدى المستوى الدلالي التركيبي إلى الإنفعال الذي لا يحترم بالضرورة القواعد الخارجية .

وفي ما يلي ستناول مثالا على ما قلناه وهي قصيدة « أغنية إلى الطفولة » الأغنية واقعة في دوائر مختلفة متفرقة ، تعني المناجاة ، الشكوى ، التطريب أما كلمة طفولة فلسنا محتاجين إلى معجم لإدراك دلالاتها ، معجمنا هو القصيدة هو الإستخدام هو انفعال الشاعر في كل لحظة من القصيدة الأغنية :

**« في السرير القلق الدافئ حبّ
يستفيق**

هو للناس تراتيل وللشمس طريق ..

الطفولة هنا تعجّ بالدلالات فهي في وجه من وجوها عودة إلى براءة صلتها بالكون وهي استفاقة للإنسان جسدا وعاطفة في وجه آخر وهي في المقطع الثاني من القصيدة لها :

تشرق الشمس خجولة

في خطاها يصغر الكون الكبير

ويضيق الأبد ..

وهنا استوعبت الكون وتعدّته إلى الأبد ثم يجري أدونيس اللفظة المجري الأسطوري فهي الفينيقي ذلك الطائر الناري يُحرق في معبد الربّ حتى يبدأ حياته

من جديد ، ثم تصبح الطفولة معادلة ذهنية تتجاوز الحب والصبا والشاعر لتصبح تعبيرا عن الحياة والبقاء .

يا طفوله

يا ربيع الزمن الشيخ وأذار الحياة

وهوى ماض وآت

في غد أنت صراع لا يحد

وطموح لا يرد .

فالطفولة بالمعنى الشعري جمع بين مقومات مختلفة هي مصب القصيدة ومحورها فليس ثمة عفوية في استخدام لفظ دون آخر . فالألفاظ تنبني معجما للقصيدة يكتننها من إنشاء نظام كامل تتطافر فيه كل وجوه الإمكان المجازي على عكس اللفظ في الاستخدام القديم الذي لا يتعدى فيه اللفظ إلا إلى معنى واحد في الغالب تضبطه كتب البلاغة في علم قياسي يعلن نفسه إلزاما على الشاعر يضيق اللفظ دلالة إلى حد التعيين وحتى الفرض أحيانا أخرى !
نجد في خاتمة هذه القصيدة أسانيد لغوية لم نعهد لها نقل بها الشاعر قلقه البسيط في بداية القصيدة إلى غضب ثائر .

وغدا أنت ميادين بطوله

تنشئ الكون وتبدي وتعيد

فيغثيك الكفاح

وتغثيك الجراح

ويغثيك الدّم البكر المجدد ..

فالألفاظ بنت حركة لم تكن لتبنى لو لم ينفعل الشاعر مع ذاته ، مع أسئلته فحركة القصيدة هذه أسست لحركة فنية في مستوى الشعر ، فيها ، تلتحم ذات الشاعر بأدوات الفن والصورة والإيقاع فتغدو القصيدة نموًا يكتف مجمل العنوان فبلوح الشعر لحظة تنام في التغاير « كما عبر عن ذلك بعض النقاد .

وكما اتضح من هذا المثال فإن اللفظ لم يعد منفصلا عن الدلالات ولا على

الإيقاع بما أَنَّ الجامع لذلك كله هي الذات عبر الرؤيا فهي الدافع للقصيدة هي الأداة الجامعة .

يقول أدونيس في مقدّمة من وضعه لكتاب الدكتور كمال أبو ديب بعنوان : « في البنية الإيقاعية للشعر العربي » لا تعدو البحور... نماذج أصولا وإنما تصبح تشكيلات إيقاعية من تموج يختزن تشكيلات عديدة أخرى فاللغة أوسع من البحور .

لكن ما مردّ الإيقاع في الشعر إذن ؟

لقد وضّح الدكتور كما أبو ديب في " كتابه الفذ " والعبارة لأدونيس أَنَّ فكرة الخليل عن الزخافات والعلل تقوم على أساس أخلاقي في جذوره « ينبع من الاعتقاد بأنّ كلّ ما يستوفي خصائص نموذج ما ، كامل وأنّ كلّ ما لا يستوفيها ناقص » ولذلك نعت الخليل الزخافات بأنّ بعضها « صالح » وبعضها "جيد" وبعضها "قيح" ولكننا لا نتصور أنّ الشاعر الجاهلي عندما أراد أن ينظم كان على وعي بمفهوم الكمال والنقص أو يقيس على نموذج . فما حصل هو أنّ الخالق أحسّ انسجاما موسيقيا مستحيا لديه بين وحدات البيت الذي ينظمه وتبعاً لطبيعة انفعاله شكل قوله ضمن وزن معين كامل الجسم الأبعاد التي تنافرت فيها الذات وقتها . وبما أنّ الخليل اعتمد على وصف الإيقاع تبعاً لتفاعلات محدّدة فقد عجز نظامه على استيعاب كلّ المدونة ، فجعل ما لم يخضع للبحور التي وضعها شاذاً وأطلق عليها اسم "المهمّل" .

إذن فالإيقاع لا يمكن أن يوصف بمكونات الخليل أو على الأقل إنّ نظام الخليل لا يصلح للخوض في التشكيلات الممكنة في الشعر فلذلك اعتبرت مجمهرة عبيد بن الأبرص مهمة على الرغم من أنّها اشتغلت على خلق إيقاع مرهف تتشابه فيه العناصر الإيقاعية .

ولسنا في هذا المستوى من التحليل نروم عرض فكرة كمال أبو ديب كلّها ولكن فقط أردنا أن نلمح ونلفت الإنتباه إلى النتيجة التي خلص إليها وهي أنّ نظام الخليل قام على تحديدات نطقت معبرة عن اكتشاف عقل مبدع لمجموعة من التشكيلات صنّفها وأنشأها نظاما حجّرتة الفاعلية الشعرية بعده باستخدامها له

على أنه النموذج الأوحـد .

إن كل شكل يظهر به التشكل الإيقاعي يمتلكا خصائص معينة هو صورة فعلية كائنة من صور الشكل الإيقاعي المتعددة " مردّها إلى الذات وتفاعلها وجدلها الداخلي والخارجي .

فلماذا إذا عند أدونيس مثلا تتشكل « مرثية الحلاج » في أسطر تتعامل إيقاعا تقريبا إلى حدّ الرتابة أهو أمر اعتباطي ؟ من الأكيد أنه ثمة سبب نبحت عنه فينا داخل مرونة الإيقاع الجديد :

ريشتك المسمومة المحضراء

ريشتك المنفوخة الأوداج باللهيب

بالكوكب الطالع من بغداد

تاريخنا وبعثنا القريب

في أرضنا في موتنا المعاد

هذا القفل على السكون ألا يوحى بإيقاع ذاتي مردّه الإنفعال مع اللحظة الشعرية ثم عندما نتقل إلى قصيدة « أوراق في الربيع » نجد التشكل الإيقاعي ذا مرونة كبيرة المقطع الأول مكثف جدا لفظيا وإيقاعا

لأنني أمشي

أدركني نعشي

هذا المدّ من الأنين يحضر في كل كلمة كتبت في السطرين فهذا الكسر والتطويع للتفعيلة يساير تنامي الذات داخل المتغيرات من الإحياءات إنه يقحم ذات الشاعر في كل سطر شعري تقريبا والقصيدة عند أدونيس تستخدم تشكيلات إيقاعية مختلفة وتنهل من العدد اللامتناهي من الإنفعالات التي تسكن عالم الممكن وترفض الإنتساب إلى عالم الموجود . فالذات الشاعرة من حيث الإيقاع تطمع إلى تخطي الشعر أصلا إلى نوع من الكتابة الشعرية حرة مطلقة كحرية الذات المنشودة .

نخلص ممّا سبق أن الأذواق الفنية الشعرية لم بعد تستمدّ جمالها من مطابقتها لقوانين علمية عقلية بل من الإنفعال والتجربة ومن هنا كانت لغة الشعر إحياءات

على نقيض لغة العالم التي هي تحديدات ، ومن نفس المنطق صار الإيقاع ذا حضور متنوع لا يخضع لحركة غير حركة الذات وتبعا لعنصر اللغة والإيقاع، أصبحت الدلالات ترتبط بطائفة من المراجع كالأسطورة والرمز ، فالذات تخوض الفن الشعري وعيا وخلقاً وأدوات للتعبير عن رؤيا تستوعب بها تجربتها وتعقل الكون والأبد تحت عصمتها . وتحث رداً غموضها فلا يفلت منها المحضور المركّز الواعي كما لا يفلت منها الفن كتجربة جمالية .

إذا كانت الذاتية سمة غالبية في شعر أدونيس ألا يمكن أن نجد مأخذ في استخدام الأدوات الشعرية عنده ؟

عندما نتعامل مع علي أحمد سعيد لا بد من أن لا نتغافل من أن الرجل ناقد وشاعر والأكثر من ذلك أنه منظر من الأوائل الذين اعتنوا بالتأسيس لحركة الشعر الجديدة . فكأننا في بعض قصائده نلاحظ أنه يحاصر القصيدة ويضغطها ليخضعها إلى نقده بقوة . إنه في الغالب يعلن العنوان في نوع من الوضوح الموحى ثم يجعل النص يقدم تفصيلاً لما جاء مجملاً . وواضح بهذه الصفة أن أدونيس يخل بالمبدأ عندما يواجه ذاته تجاه امتداد القصيدة هو جاهز في عقله نقداً . فعناوين نصوص أمثال «نشيد الغربة» ، «أوراق في الريح» ، «مرثية الحلاج» وغيرها تدخل في هذا الباب ولكن أدونيس يعلن ، هكذا تكون «المرثية» أو هذا هو «نشيد الغربة» .

ولكننا نعلم أن الشاعر لا يجري إلى غاية حتى لو كانت هذه الغاية الذات نفسها . فالذاتية هنا تصبح سلطاناً قاهراً على القصيدة كما كانت القوافي والعروض والبلاغة في كتب النقد القديم .

وعلى الرغم من أن الشاعر أراد أن يبني عالمه اللغوي على الإنفعال فإنه لم يسلم من بعض الاستخدامات اللغوية المعروفة في الصور خاصة سواء من الشعر القديم أو الشعر الحديث . ثم إن أدونيس اتهم بالسرقة على الأدب الغربي وهذا يشكك في تجربته الذاتية ؟

ولكن رغم ذلك تبقى تجربة أدونيس الشعرية تجربة متميزة تتصدّر تاريخ الشعر العربي الحديث .

«أضاعوني» :

بحث في إيديولوجيا الأعماق

بقلم: بلهوان الحمدي

1 - على أبواب الموضوع .

هذا مقال في التأويل . والتأويل قراءة ودود للنص وتأمل طويل في أعطافه وثرانه وفيه يعطيه لقارئ مهوم بثقافة الجيل من بعض التواحي . يقول د. مصطفى ناصف في كتابه « محاورات مع النثر العربي » ما يلي: « التأويل مبناه الثقة بالنص ، والإيمان بقدراته ، والإشتغال بكيانه الذاتي والغوص المستمر في تداخلات بنيته . » حوار خلّاق بين النص والقارئ . حوار يشارك فيه باثٌ ومتقبّل ... » <http://Archivebeta.Sakhrit.com> هل نقول إنّه ليس للنص معنى بمعزل عن قارئ نشيط يستحقّه ويقلّب فيه الظنّ بعد الظنّ ويتصوّره قادرا على الإلهام والإثارة وعبور المسافات الطوال . إنّ النص لا معنى له بمعزل عن همومنا ومآزقنا ومخاوفنا وآمالنا جميعا . النص هو أخيرا جدل وإثارة لذّة فاتنة .

2 - الكتاب والكاتب :

1 - الكتاب : مجموعة قصص أنيقة في إخراجها المادّي . صدرت عن دار الأقواس للنشر في شهر نوفمبر 1997 . تتضمّن المجموعة القصصيّة عشر قصص متفاوتة طولا وقصرا وهي حسب ترتيب الفهرست كما يلي : الذهاب إلى المغسل - الدين - جرح في الذاكرة - رعب التلاقي - شرّ ذاك بخير ذا - أضاعوني - نواح - وقائع اللبلة الأولى - خريف الهالبيين - الحكاية .

2 - الكاتب : حسب سجلّ الحالة المدنيّة هو الأزهر الصّحراوي وهو من مواليد

جومين سنة 1967 . أصبل قرية رواحة . بنزت . متحصل على الأستاذية في اللغة والآداب بمتوة .

وبعد حوار أجرته مع الكاتب تبين لي ما يلي :

بدأ الكتابة بصفة جدية سنة 1995 وهذا لا ينقص من قيمة نصوصه بل على العكس بعض التأخر النسبي في الإبداع هو قسوة وصرامة من المبدع على ما ينحت .

الصّحراوي شجاع في مواقفه فهو يكره كتابات ويعشق أخرى ويعتقد أن كثيرا من المشهور لا قيمة له إبداعيا بل هي ملابس حقت به . فهو يحترم الروائي "حسن نصر" الذي ينحت نصه من كبد . ويرى أن أهم عيوب حياتنا الثقافية الركينة السطحية وغياب الصدق وانعدام الصدق على قول الحقيقة . أما أهم عيوب الكتابات القصصية الشابة في نظره فهي : الإرتجالية والنزعة الشعرية المفرطة والإجترار وسجن الذات .

3 - جراءة القصة أو قصة الجراءة :

يجمع بين قصص الصّحراوي "سمة تجعل من الكتابة صرخة والتزام بقضايا الإنسان المدخور في عالم تسوده افوضى عارمة" لذلك فأنت ملاحظ قصصا تنحو منحى تراجيديا قائمة على الصراع وقليل ما تهادن الملحمة والتوافق . إن الصراع يهز الشخصيات والأحداث ويبعثر المسلّمات التي كادت تترسخ في الأذهان .

ففي قصة « الذهاب إلى المغسل » نتوقف عند ثنائيات متباينة جنسا وقوة : الحمار والأتان / الطفل وذهبية وفي الحالتين يكون التواطى رغم التنافر الظاهري . الأتان تتباطأ وكأنها تنتظر لقاح الحمارالهائج . وذهبية المرأة الجارة تراود الطفل الغريب على نفسه بشيق فتثير حتى الماء : « تنهّدت فالتفت إليها فرأى فخذبيها في الماء ... يدها اليسرى تلامس شيئا أسود تحتها ... يدها تمشي وتجيء ... أما الفخذان البيضاوان فقد ذابا في الماء كالماء الذي يجري في الماء ... » ص 12 . هذه الحركة والتشجيع في الدابتين وفي ذوات المرأة المتصايبة والطفل المراهق تفضي إلى سلوك فيه متعة أكيدة وابتزاز أوكد للطفل .

وإذا ما قرأنا قصة " نواح " وهي قصة برقية من النوع القصير جدا نسبيا .

إذ لا تعدّ سوى 240 كلمة دون احتساب حرف العطف (و) تبيناً حدّة هذا الصّراع الذي بلغ حدّاً لا يتصوّر وبلغ بالراوي وشخصه المتخيّلة حافة انتحارية انتهت إلى حفلة نواح مرّ :

الزّمن : النّصف الثّاني من جانفي 91 : ساخنا ≠ باردا .
البطل ونواياه : بيعثر - يقوّض - يهدّم - يخرب - يجتث - يبدّد ≠ قرّ قراره على جمع الشّمْل .

حركة الأشياء : الكتاب في المقلاة/ الغاز يهفو للنّار . الشوكة تغازل القلم / التلفاز فوق الجلد . والتّنتيجة أنّ الوقت حرب بين البرودة والسّخونة ونوايا البطل دراماتيكية جارفة ثورية لكنّها سرعان ما تنكفي وترضى بـ « لم الشّمْل » ثمّ تنساق إلى النّواح « خرّت أمّه في الباب تنوح ... لم يقل شيئا فقد هذا حدّوها وجعل ينوح ... » ص 56 .

أمّا في قصّة « وقائع اللّيلة الأولى » فهي تصوّر حادثة الدّخول في اللّيلة الأولى - زواج وما يرافقها من سنن وعادات عادة ما تكون مرهقة وملزمة . الزّمن هو أوت . والمكان هو القرية . الشّخص هو الزوجان وأهل الزوج وأصهاره .

في النّص نلاحظ أقظاباً تشكّل هذا المسار المتأزّم المبني بصفة ملفنة للنّظر على صراع لا هدنة فيه : ومستويات الصّراع تختلف بحسب الدّوات والأمكنة . وحتى في الدّات الواحدة يتراءى الجدل في بعض الأحيان . فالزّوج وزوجته متّفقان بصطدمان بأهل « متخلفين » محافظين على الأعراف .

لكن الزّوج يتردّد تحت ضغوطات الرّأي العام ويكاد أن يخضع رغم مواقفه . فهو القائل لزوجته « ليلي » تلميذته سابقا . والسّياق يشي بذلك . : « معظم الرّجال العرب يغتصبون زوجاتهم في اللّيلة الأولى » ص 61 . فالزّوجة ذكرته بماقاله إجابة على سؤال تلميذ : « المهمّ ، لبس شرفها بين فخذيه » ص 61 . والأمكنة صراع بين الدّاخِل (غرفة العروسين) بماتحيل عليه من معاني العقل والحرية والتّفاهم والحارج بغضبه وتعصّبه وحصاره للزّوجين . في النهاية يقع إسقاط الجدار من طرف "ليلي" وقربنها . هذا التفجير يكشف الوجه الآخر للمشهد المخجل المضحك :

الأم — تلوك جدانها .

الأب — يدفن وجهه في شقوق يديه .

المؤدّب — يتلو آيات .

بعد استجلاء أوجه الصّراع وعلاماته في متن قصص ثلاث هي « الذهاب إلى المغسل » و« نوح » و« وقائع اللّيلة الأولى » يلجّ على القارئ سؤال : ما هي طبيعة هذا الصّراع وإلى أين أودى بالمتصارعين ؟

تتعدّد بؤر الصّراع في نصوص الأزهر الصّحراوي . فهو صراع نفسي . جنسي في القصة الأولى : أي أنّ ذهبيّة جارتهم وهي صديقة أمّه ورّما شابهتها في كثير من مواصفاتها هي أليفة إليه كأمّه . أصرّ على مضاجعة الجارة « ذهبيّة » عبر مرايا الماء . ضاجعها فعلياً وحسباً بواسطة حماره : « هم بالإسراع إليهما ليفرق بينهما ... » ص 13 .

فهل هو أوديب معاصر يعشق أمّه ولا يجرؤ خشية المحضور ؟ وذهبيّة يغالبها جسدها فلا تصرح ولكنها تمارس شهوتها في المرايا [الماء] ومن خلال حمارها والصّبي : « > > أخرجت ذهبيّة رجلها من الماء فغشرت بها رجله فسقط في الماء قربها والتفت فوجدها ترنن إلى تحت الأشجار وتضحك ... > > » ص 13 بنفراج الصّراع إذا بلذّة تجبى بهد جهد وتضحيات من الحمار والأثانة من جهة وبين الجارة والصّبي من جهة أخرى

في « > > نوح > > » طبيعة الصّراع وأطرافه قد لا يشيران اختلافاً أو إشكالا كبيرين . هو صراع بين « > > نحن > > » و « > > الآخر > > » . صراع ذو طبيعة حضاريّة تقوده قوّة مهيمنة منفردة تقوم على القوّة العسكريّة والعلميّة .

عدوّ بعشر المنظوم الهشّ للتضامن واستباح المقدّس والمدنّس على الأرض . هي بوادر النّظام العالمي الجديد ولا سلطان إلّا له ! هو معلن في النصّ بـ « مذباغة الأمريكي » و« التّلفاز » و« جيش الأعداء » مقابل « الجلد » و« الجذّة » و« كتبه القديمة » إذا فنحن أمام إرادة سيطرة قاهرة .

هذا القاهر جعل « النّائح » ينوي بل « يفكر » في أن « يقوّض ويبعثر ويجتثّ » ويبدّد « ص 55 .

هذه الخطاب العنصري المتولد عن سرعة الضربة وبالتالي المفاجأة يؤول إلى عجز واستباحة وانكسار فطبع : « صبايا عربيات ... آلاف من الصبايا ... يدخلن منكسرات معسكر جيش الأعداء ...!! » .

أما السمة الثانية . بعد الصراع . التي أنت واجدها في مجموعة "الأزهر الصحراوي" وتشددك شدا للنص أو تنفرك منه فهي " فصانحية " وتعريته للمحجوب وحديثه فيما بعده البعض « صيحة موضة » ويرى فصيل آخرائه من باب فتح الأبواب المفتوحة . في حين يتحاشاه عن وعي أو عدم إدراك فريق ثالث . فهو يسرد في قصة « أضاعوني » التي أعطى عنوانها للمجموعة حكاية زوج مثقف « مع حماته وزوجته والناس .

هذا المثقف : شديد الحياء في النهار # بذيء عرييد في الليل . يكره حماته وبعض المثقفين لأنهم نفاق وكذب . ونقرأ حرفياً في ص 53 « إنني أكره الصحف وأمقتها مقتا عجبيا » و « أعشق ركن الجرائم » رغم الغباء الفضيع لكتابه . وحين يستمع للمذيع يتذكر قوله قائل : « يكذب بكذب كشره أخبار عريية » . فمن يستطلع يا ترى ؟
هذا "الصانع" يحب قاع المجتمع والمهمشين وقطته التي عوضت بأنسها زوجته المتوفاة وقد باع حاتمها لصاحب الحانة ولا ندرى أكان ذلك قبل أو بعد رحيلها . تدب القصص المثقف المستقبل أو المتخاذل تجاه قضايا الجوهرية : الإنسان وحرية . أليس للإدانة ما يبررها .

هذا المثقف الذي يتذكر « الخوازيق والقوارير ولبالي الشتاء في السجون العصرية » كما جاء في قصة « جرح في الذاكرة » 20 . ويعترف إبراهيم " المثقف لرفيقه « رفيق » المطوق بالحراس أنه جبان وقذر وحقيير لأنه صعد القصة واكتفى بمشاهدة المعركة من فوق . هو جلد ومحاسبة للذات المعذبة .

هكذا هو بطل "الصحراوي" مأزوم في الغالب . وجودي المسلك . اشتراكي المنزع . رومنتيقي الملاذ . يؤرقه البحث عن العدل ويتوق إلى التحرر من كل أشكال السلطة القاهرة والجائرة . هو متمرد على الدوام . قد يشورفعلا احتجاجا أو حتى ضحكا وسخرية من الواقع المر . ولكنه يظل يبحث عن إجابات للأسئلة الكبيرة التي

تضغط عليه .

5 - ملاحظات أسلوبية :

لست أدعي بحثاً أسلوبياً في قصص القصّاص لأنّ هذا المبحث عسير وليس في متناول ناقد مزعوم مثلي .

إنّ كلّ المجهود ينصرف إلى نواحي فنية ولغوية في المجموعة .

1 - نهايات القصّة : وهي آخر انطباع يعلق بذهن المتقبّل . وكثيراً ما يقع إهمالها تسرعاً أوتأني باهتة لا تثير القارئ في عدد غير قليل من القصص المنشورة هنا وهناك .

فكيف تعامل صديقنا مع "نهاياته" ؟

أولى الملاحظات حول خواتم نصوص مجموعة "أضاعوني" هي إرباكها وعنصر المفاجأة الذي تتضمّنه . والإرباك في النهاية يؤوّل إلى ضحك رغم المهزلة التي تستدعي نديها كما في قصّة « شرّ ذاك بخير ذا » إذ جاء في ص 47 : « تأملها ، ضحك ضحكة عالية فتضحك أولاده من حوله وهم يتابعون فعل السكّين . » كذلك الشأن في قصّة « أضاعوني » حيث نلمح وجهاً أدرك قمّة القرف : « يغني أضاعوني ... أضاعوني وأي فتى أضاعوك » أمّا في « وقائع الليلة الأولى » ورغم الوقائع البائسة فإننا نقرأ ختاماً للحكاية : « كانت ليلى تتشمّم رائحة عطره وتسرح شعرها على نور الفجر المطلّ من وراء الشفق » ص 63 .

غالباً ما يكون متن الحكاية مأزقاً تراجيدياً لكنّه ينتهي بانفراج ما . فيه انفتاح لآفاق مآ أو تفاؤل مشروع . وما النّواح في « نواح » إلا شكل آخر من الإنفراج ، فالبكاء تفريج عن الذات وفعل يتلوه جديد .

2 - خصائص البناء القصصي : نحن إزاء قصص مكثّفة ، جاذبة ، تصل إلى هدفها في مثل رشقة السهم . قد يكتنفها بعض الغموض . لكنّه الغموض الذي لا يحتاج من القارئ إلا بعض الإنتباه (نواح) . وهي موزّعة بين ضميري الغائب والمتكلم (هو - أنا) . ما بين الحياديّة المدّعاة (هو) والإنجاز الحقيقي (أنا) .

تعتمد القصص أسلوب التّضمين . أي أنّ القصّة الأم تتضمّن قصصاً فرعية تكاد تكون متكاملة :

مثال : القصة الأم



الذهاب إلى المغسل



القصص الفروع .

1 - الغراب : كان طائرا أبيض اللون . أعطاه سيدنا سليمان حقيبة نقود وحقيبة قمل وأمره أن يعطي الأولى للعرب والثانية للعجم . فعكس الأمر . شكاه إلى الله فسوّ خلقته وأنق رانحته .

2 - الحاج قاسم : في الحج ، عطش ، لم يجد ماء ، أرسل له الله قرية لبن ليرتوي . ترضاً باللبن للطهارة ، فمسخ .

فهذا المزج Mixage بين الحكايات (الغراب - الحاج قاسم - الذهاب إلى المغسل) ليس حشواً أو توشية فحسب بل يعتبر مزجا لأنه موطن توظيفاً دقيقاً لفائدة القصة الأم . إذ أن أخطاء الغراب والحاج قاسم تتكرر الآن وهنا في قرية تدور فيها حكاية « الذهاب إلى المغسل » . لعل الكاتب يستدعي التراث السردى لأن الزمن ما تبدل فهو دائماً « زمن الأخطاء » كما قال الروائي المغربي محمد شكري أو هو يذهب مذهب "بارت" إلى أن النص نسيج من الإقتباسات التي تنحدر من منابع ثقافية متعددة .

3 - اللغة : يقول الشاعر والفيلسوف "محمد بن صالح" في كتابه " الشعراء على اليمين وعلى اليسار الشعراء " ص 119 : « الوجود في جوهر لغة ، وبهذا المعنى فإن الذات هي محصول ما نقوله ، فباللغة نقول أسباب وجودنا ونقول غايتنا في وجودنا ونقول المعنى من وجودنا ... » .

هكذا نغادر اللغة كأداة تعبير أو أداة تواصل لا تميزنا عن الدواب بإقليلا ندخل عالم لغة نقول المعنى والذات والمشروع . هي لا تراوغ لكنها ساحرة ومغامرة في عالم صامت . هي لغة عربية فصيحة متفاصحة لانعثر على كلمة واحدة من العامية التونسية حتى ولو كان المتحدث أمياً حيث نقرأ على لسان « الطيّب » الوالد الريفي في قصة « شرّ ذاك بخير ذا » . يخاطب « عائشة » ابنته : « سيقولون

عنك إنك ابنة الطيب الذي جلب إلى القرية أول آلة تسجيل وأول موقد نفطي وأول نظارات شمسية ... » .

وهي كذلك دقيقة جداً عند الوصف . هذا الوصف الذي لا يعطل مسار أحداث والإنفعالات لأنه ليس ترفاً أو زينة . " فالصحراوي " يرصد المشهد رصدًا مجهرياً كأنه سينمائي واللغة « كاميرا » ترى ما يرى وتحبب الأموات وتبث فيها حياة وروحاً . في « وقائع الليلة الأولى » يصف مشهد ذبح الثور في الإحتفال بالعرس فيقول : جاء بحبل سميك وجعل يعقل الثور من رجله الأماميتين ... وتأهب بعدما رمى بجبته جانباً وأحكم يمينه المعروفة على مقبض السكين وتقدم إلى الثور بشبات وهو يحاول إخفاء السكين بفخذه ثم توقف لما تحفر الثور وحرك ذيله الطويل ... فهجم عبيد الرحمان وأعمل في عنقه السكين فتدفق الدم غزيراً ساخناً ... » ص 59 .

هذه اللغة المثيرة تحدث التوتر والإنفعال في نفس القارئ لأنها مشحونة ولا تنزل إلى الموات والبرودة لأنها تهادن الحياة والإنسان والصراع .
4 - السيرة الذاتية : لم يبلغ من قال إن معظم الروايات الأولى هي سيرة ذاتية مقنعة . هذه السيرة الذاتية هي رواية مقنعة ، فهل يسمح لنا السياق القصصي بالقول إن قصص " الأزهر " تتضمن كثيراً من مواد السيرة الذاتية للكاتب نفسه . حيث نقرأ عن الريف كأننا نراه بتفاصيله المتأصلة فهذه « الأثانة المربوطة قرب شجيرات الهندي » ص 5 . وهذا « الجدي لم يبق شيئاً من العنزة بعدن خرج 4 من الزريبة » . أما الأب فهو فلاح « يعود قبيل القيلولة ... فيرمي بمنجله ويستلقي على الحصير » ص 15 .

وهذه بعض العناصر المشكلة لانتماء الكاتب - الراوي المكاني . في نص « رعب التلاقي » يتعرى الراوي وينشرغسيله : « موظف من درجة عالية . سياسي نشيط في الجامعة . أصبحت زير نساء لك في كل مدينة امرأة أو امرأتان » ص 30 هي بعض مزاياه في الفكر والحياة وغيرها كثير مبثوث في القصص الأخرى .

لكن الكاتب يتجاوز الذات المغلقة عن طريق خطابه القصصي المتنوع مبنياً ومعنى . ويبدو لنا التجاوز للآثا الفرد على مستوى الضمائر والشخص

والهواجس إلى ما هو اجتماعي تاريخي يخصّ ذوات أخرى يجعلها تقترب من حكاية عامة عاشها ويعيشها الإنسان في هذا العصر الحديث .

كثير من القصص تروي حكاية الذات في بحثها عن ذاتها المقتلعة من حياة هي حق لها (الأب الطيب في « شرّ ذاك بخير ذا ») . ومن تاريخ هو تاريخها المستلب (الأم وإبنها في قصة « نوح ») . وربما لأنّها سيرة مفنّعة تحلّ العامل الذاتي مكانة أولى فهي تفصح عن هويّة محلّية وانتماء خاص بذواتها وصراعاتهم وانكساراتهم وتوق عارم للإنتعاق .

5 - الخاتمة :

هذه المجموعة تحيل على رواية « الزّمن الموحش » للروائي العربي - السوري « حيدر حيدر » والقصائد السبعينية للشاعر الرّاحل « أمل دنقل » وتفارّق ما سواها من القصص الجديدة التي تحلم بالعالمية باغراقنا في عوالم الغرائبية والتراثية استجداء لقارئ آخر يعجب بألفة ليلة وليلة ويفتق بنا للضحك والسّخريّة . سيّقال إنّها مرجعيّتنا ؟!

وهنا يلحّ على ذهني سؤال عنيف أرمي به إلى « الصّحراوي » وغيره : هل تعني المرجعيّة التراث أي الماضي فحسب والواقع المعيش الآن في أحسن الأحوال ؟ لماذا لا نستدعي المستقبل آتني ونكتب قصة أو رواية استشرافية فنتحرّر ولو نسبياً من عقال « المرجعيّة » التي أخشى أن تحوّل بعض راهننا السّردي إلى « متحف » و« كتابة على المتون » .

مصادر البحث ومراجعته :

- 1 . المصدر : « أعضاءوني » الأزهري الصّحراوي . دار الأقواس للنشر . الثلاثيّة الرابعة 97 .
- 2 - المراجع :
- أ - في آليات النّقد الأدبي . د . عبد السلام المسدي . دار الجنوب للنشر . 1994
- ب - الكتابة القصصية في تونس خلال عشرين سنة 1964 . 1984
- ج - محاورات مع النّثر العربي . د . مصطفى ناصف . سلسلة عالم المعرفة . المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب .. الكويت فيفري 1997 .
- د - بلاغة الخطاب وعلم النص . د . صلاح فضيل . . سلسلة عالم المعرفة . المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب .. الكويت أوت 1992 .
- هـ - مجلّة « فصول » العدد الرابع . شتاء 1997 .

أسلاف الصّحراء وخلفاء الألوان الصّخرية مقاربة لتجربة الفنّان التشكيلي حسان عمراوي

بقلم : لطفي عمي

« إنّي عاجز عن إجراء أيّ تمييز بين الشّعور الذي أحصل عليه من الحياة وطريقة ترجمة هذا الشّعور عن طريق الرّسم . إنّ موديلاتي هم أشخاص وليس أشكال من الجماد . قد تكون الأشكال التي رسمت بها هؤلاء الأشخاص غير جميلة ولكنها كانت دائما معبرة . ليس من الضروري أن يكون الإهتمام العاطفي الذي أبغضه في داخلي مرئياً بصورة خاصّة في اللوحات التي رسمت فيها أجسادهم إذ غالباً ما يمكن ملاحظة هذا الإهتمام العاطفي في الخطوط والقيم المختلفة الموزعة على كامل مساحة القماش. إنّي عاجز عن وضع نسخة وضيفة للطبيعة وبدلاً من ذلك أشعر بأنّي مجبر على تفسير الطبيعة وتكييفها مع روح اللوحة. عندما أضع الألوان سوية على هذه الألوان أن تنوحد في وتر واحد أو في تناغم لوني يحدث بالنسبة لوتر موسيقي أو لحن . »

هنري ماتيس Henry Matissa هنري ماتيس

ليس ثمة ما يدعو للدهشة والخشوع كالذي تحدّثه الرّسومات المتكلسة على جدران الكهوف العتيقة والتي سعى إنسان ما قبل التاريخ من خلالها إلى اكتساب نفوذ سحريّ يمكنه من السيطرة على الحيوانات المحيطة به . وهو إذ يرسم تلك الأشكال المأخوذة بالحركة والتّغير لم يكن يعتقد بأنّها ستبقى مثبتة إلى الأبد وبأنّها تستديم علامات نابضة تشهد على طبيعة الحياة التي كان يعيشها أسلافنا منذ

آلاف السنين .

اهتمّ انسان العصر الباليوليتيكي Paléolithique بالتصوير التجريدي عبر
توظيف علامات ووحدات تشكيلية هندسية بسيطة وكذلك استعمال الأشكال
الحيوانية وفي المقابل اهتمّ انسان العصر النيوليتيكي Néolithique بالأشكال
البشرية .

لقد كانت صحراؤنا الكبرى قبل 3000 سنة شديدة الشبه بالغابات
الإستوائية ، وكانت أهلة بمختلف الحيوانات التي عمل أسلافنا للسيطرة على
أرواحها وبالتالي التمكّن من التحكّم فيها فعلياً .

يقسّم الأثريون فنون الصحراء الحجرية l'Art rupestre du sahara
مرحلتين : فترة الرؤوس الدائرية 6000 période des hommes à têtes rondes
سنة قبل الميلاد ، وفترة البقريات 4000 période boridienne سنة قبل الميلاد .

وتعتبر الجزائر أغنى المتاحف الطبيعية لرسومات انسان ما قبل التاريخ فهي
تحتوي على أكثر من 40 ألف كيلومترا من الكهوف المرسومة ، وعلى الأرجح أنّ هذه
الفنون الجدارية لإنسان ما قبل التاريخ l'Art pariétal préhistorique تشهد على
مدى تواجد ونشاط أهالي هذه المنطقة منذ آلاف السنين وكذلك سيبقى جهد أسلافنا
هذا مبعث فخر وإلهام لمختلف الأجيال القادمة. وفي هذا التمشّي تستوقفنا
التجربة التشكيلية للفنان الجزائري حسّان عمراوي وهي من دون إطناب محاولة
تستحقّ الإهتمام والدّرس لما تحمله من خصائص تفرّد وتوظيف لتقنيات مستحدثة
علاوة على استعمال أحواز تشكيلية تستحقّ أكثر من اهتمام .

نسيج البداوة أسميّة حجارة :

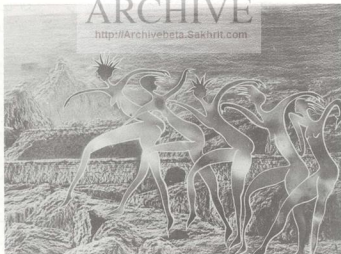
« عندما أجدني على قمة جبل ، أحسّ أنّي أحتوي العالم بأسره ، ولكنني في
الأخير أرايني جزءا لا يتجزأ من هذه الصّخور التي أقف على مرتفعها .. وهكذا
أشعر أنّ القمة هي دون شكّ صخرة تعلّمني معنى الإرتفاع عاليا والتّحليق
.. لأتلّس أكثر فأكثر حقيقة الأشياء.. حقيقة الصّخور .. حقيقة العالم .. »

حسّان عمراوي



ARCHIVE

<http://Archivebeta.Sakhril.com>



تكمُن خصائص التمثلي التشكيلي لهذا الفنّان في استغلال الأثر التاريخي الذي يبعث في الأشياء القديمة مسحة وشحنة من الديمومة والخلود . وأعتقد أنّ هذه الخيارات لم تكن مبرجة بمنز عقلي أو فلسفي بل كان وليد انسياق انفعالي نحو بصمات قادمة من تجربة قديمة من بعد مؤسس .. غالب الزمن ليصل لنا في ثوب عتيق ينبض بالوقار والتحدّي .

ورغم هذه الحميمية التي تصلنا بعبقريّة أسلافنا : فإنّ الموضوع الجوهري الذي شدّ حسان إلى التعامل مع الرسومات الجدرانية لإنسان صحراء ما قبل التاريخ : هو خامّة المادّة الصخرية : إنّها في كلّ مظاهر تجلّيها مادّة أزليّة : .. كانت منذ البدء ولا تزال ذات بنية مستديمة .. صلدة .. قاومت عوامل الطبيعة وبالتالي : تمثّل حاملا أميناً لشتّى البصمات التي تثبّت عليها (حسب تعبير الفنّان) .

فالحجارة مادّة غنيّة بأنسجتها المختلفة Textures .. بألوانها اللامتناهية وبكثافتها المتفاوتة .. وبأشكالها الهندسيّة المكسرة والإنسيابيّة صقيلة الملمس .

يقول حسان : « الحجارة بالنسبة لي هي كلّ شيء .. هي المادّة التي يتشكّل منها الكون .. هي تلك الكتل المتراكمة : التي تسببها الأرض .. هي باختصار المادّة التي نشعر من خلالها بمعاني الأجيال ، الكتل ، الألوان والزمن أيضا .. »

ولكن إذا كان هذا الفنّان الشاب مسكونا بهاجس الحجارة فلماذا لا يتعامل معها مباشرة ؟ .. تبدو أنّ الفضاءات الكهفيّة التي مرّ بها ذات يوم انسان ما قبل التاريخ وسجّل حضوره تاركا خلفه رماد عيشه والذي مكتنا من التعرف على طبيعة نشاطه ، ومعتقداته ، وفنونه التي كان يزاولها في عمليّات معقّدة ومتداخلة : هي التي كان لها فعل السحر في نفس الفنّان .

إنّ الطقس الميثي المليء بالعلامات والشعائر هو الملاذ الأكبر الذي كان يتشبّث به أسلافنا للسيطرة على محيطهم المادّي كذلك على عالمهم الباطني محاولين بذلك طرد تلك المخاوف والظنون التي كانت تطرق أذهانهم في ظلمة الكهوف .. في مواجهة الوحش وكذلك الأسنلة الأنطولوجيّة التي ما انفكّت تصفعهم عند صدامهم مع ظاهرة الموت .

ومن ثمة نخلص إلى العوامل الحقيقيّة وراء اهتمام هذا الفنّان بالجدريات الكهفيّة



ARCHIVE

<http://Archivebeta.Sakhril.com>



هي الأبعاد الأنثروبولوجية للإنسان النيوليتيكي .

لقد حاول العمراوي في أكثر من مرة : تزويق جداريات ضخمة على واجهات بعض الكهوف بتفران (نقاوس) سنة 1994 ، بنشوماش (يسكرة) سنة 1994 وبتتمراست سنة 1995 : فهل أراد بذلك هذا الشاب معاودة تلك الرحلات الشاقة والمغامرات التي كان يخوضها أجدادنا بحثا عن الدفء .. عن الأمن وعن الظروف المواتية للقنص ؟ وبالتالي خوض تجربة استعادة اللوقوف على حقيقة تلك الإحساسات الأولى ؟

وفي هذا التمشي يكتب : الصحفي والفنان التشكيلي الجزائري (ناصر بودجو) حول تجربة حسن بالقول : « كخيط من الضوء الصباحي أيقظ حسنا هذا الزمن الرأكد بنظرة جديدة منعشة .. حيث حاول تخليد الشخصا الإفريقية المتوسطية على جداريات أكبر المتاحف في الهواء الطلق والتي أزهرت وانتشرت على إيقاعات قوس قزح .

حسنا هذا الفنان المشاكس ومن دون ضجة : يتعاطف مع الموروث البربري والمعبّر عنه بهندسة تجريدية والتي برع في تكيفها مع مقتضيات تشكيلة بحتة حيث نفّض الغبار على العلامات والرموز التي جعلها تنخرط في رقصة ريفية متشابهة .

فنان تيفران حمل على عاتقه مسؤولية التدخل بمفرده في تزويق المساحات الطبيعية: محاولا بذلك رد الاعتبار التاريخي بالتدخل مباشرة على واجهات المغاور القديمة والتي كانت معمورة في وقت سابق : إنه يحاول السعي نحو الأصول .. نحو النشأة الإنسانية ، كما نجح في تطويع أدوات الرّحي الحجرية كحوامل لرسوماته الموقفة .

حسنا يحمل في جرابه تصوّرا تشكيلي بدون حدود عمل على تشبيته هناك : أين تطوّرت الكائنات : خارج الأبعاد الثلاثة . »

رقصة الألف عام : امرأة : « ما من أحد يستطيع أن ينكر عليّ اضعفاني الإسهام بالحقيقة على أكثر ابداعاتي الواقعية . وأصالي كلها تتركز في أنني وضعت منطق المرئي في خدمة اللامرئي . »

أوديلون ريدون

شخص حَسَّان : أطباء لهامات مشبعة بالخطوط الأثوية حيث تتحصن خلف طقس شعائري فتتخرط في رقصات تعبدية مفعمة بالروح الجماعي : إنها تتشكل من حركات انسيابية ترسم في غير تكلف إحساسات باطنية ، انسيبة ، ماضوية تابعة من أعماق المعيش البدائي : هي تعبر عن انصهار جماعي في غنائية وجدانية تنشد وحدة الوجود ووحدة المصير .

هذا التناغم في الشكل والحركة بين هذه الكائنات القادمة من بعد غائب .. يجعل من اللوحات كيانات متوازنة .. أصيلة .. مشبعة بالنشاط والإيقاع الإفريقي الصميم . وفي هذه الجدرينات المستحدثة يحاول حَسَّان أن ينتزع تلك الكائنات الماقبلية من خشونة الجدران الكهفية وينقح فيها من روحه حتى يصيرها كيانات حيّة تنبض بالحراك والنشوة : هي في هيئاتها متسترة ، محفوفة بمادة الجسد .. أباديها تذوب معالمها في ليونة الحركة فتصبح جزءاً لا يتجزأ من خطى السير .. من أحبولة النغم الكلي ، والملاح تضيق في لهيب الوجد والحشوع كما يضيق اللون في توازن اللوحة .

الأثوة في أعمال حَسَّان ليست وحدة منفصلة عن الإطار الكلي (الجمعي) : إنها تاريخ طويل .. غامض مشوب بطلمس الاختلاف : فالمرأة لديه هي طقس عام .. روح قادم من ثقافة وامتلاء : إنه يتعامل مع المرأة الحضارة .. المرأة الجماعة : لا المرأة المفردة .. وهو بذلك ينجح في تسليط الضوء على الحضور والانتفاض على إنتاج الثقافة وترسيخ الأصالة : وهي محاولة لإحياء نسيج البداوة .. ونبض المشاركة والإنصهار : كصفارة إنذار يحاول أن يحذر من حالة الإستيلاء والنزعات الفردية التي أنتجتها قوالب المدينة الحديثة .

كائنات حَسَّان مسالمة ... نسيبت ذواتها في طقس الجماعة وهي بذلك تمثل بخصوصيتها عالماً غير قابل للإختراق : هو وجداني صميم .. ينتشي في حركات : متناسقة إلى حد التوحد .. انسيابية إلى حد الإنصهار .. عفوية إلى حد الضياع .. حميمية إلى حد الوجد . أي وحدة هذه التي لا تتجزأ ؟ . أي نغمات هذه التي لا تسكن ؟ . أي تدخل هذا الذي لا يفك ؟ . وأي امرأة هذه التي لا ندرك : هو حتماً عالم الفنان : المفقود .. فالحلم وحده يثنيه بالأشياء المستحيلة .. الضبابية :

على أن الغياب أقدر على خلق الأشياء من الوجود ذاته .

الكشط .. والحيز التشكيلي الرمزي :

« إننا كي نتذوق عملا من أعمال الفنّ لسنا بحاجة إلا أن يكون لدينا حسّ بالشكل واللون ومعرفّة بالأبعاد الثلاثة للمكان . وإن أولئك الذين يفهمون الفن حقّا إنّما يشغلون فحسب بالخطوط والألوان وعلاقاتها الكميّة والكيفيّة . ومن ذلك يظفرون باستمتاع أكثر عمقا من أيّ استمتاع قد يبلغونه من شرح أفكار وحقائق تاريخيّة أو مضمونيّة . »

كلايف بيل

Espace de réception ومن الأغلب أعمال حسن لا يمكننا أن نتكلّم عن حيز تشكيلي Le Fond أو ما

يصطلح عليه بالحيز التشكيلي الرمزي Espace de réception symbolique وهو عبارة عن خلفيّة متجانسة تمثّل حاملا ماديا للرّسوم (هذه الطريقة استعملت كثيرا عند الحضارة المصريّة القديمة (الفرعونيّة) لتزيين الغرف بالأهرامات) وهي في الواقع محاولة حكاكيّة للطبيعة الجدران الكهفيّة بالتالي الخلوّص إلى فضاء مبني (تولوجي) : يجعل الناظر يتعاطف دون سابق إنذار مع اللوحات .

يستعمل العمراوي تقنية أصباغ زخرفة الزجاج Email vitrail على ورق مقوّى Papier : Blanc-gris ويوظّف مع ذلك مؤثّرات أخرى للخلوّص إلى خلفيّة ذات تكوينات تشابه الطبيعة الصخريّة لجدريات المغاور : وهذه المؤثّرات تتلخّص في عمليّة كشط Grattage سطحي لينّ للتخفيف من تركيز الأصباغ في بعض المناطق وبالتالي الوصول إلى بنية حبيبيّة عفويّة .. متشبّعة .

وهو عادة ما يستعمل الألوان النقيّة وخاصّة الأوكرانيّة منها ويصل إلى ألوان متدرّجة Degradées عبر كشط سطحي خفيف وفي بعض الأحيان يلتجئ إلى الألوان المكملّة Couleurs complémentaires كالأحمر والأخضر أو الأزرق والبرتقالي لاضفاء حالة من التضاد .

وفي أحيان أخرى يقوم بكشط عميق حتّى تظهر بياضات الورق ومن ثمة رسم حواف شخصه ، كما لا يفوتنا الإشارة إلى توظيف الكتابة الأمزيغيّة كعلامات



ARCHIVE

<http://Archivebeta.Sakhril.com>



رموز تعكس جذور الثقافة المحلية .

تلوين الشخص لا يخضع لمنطق معين .. هي طريقة تزويقية خاصة جدا .. لا تخضع لمعايير الواقع .. إنها تراصف لألوان متباينة ومتدرجة عبر الكشط السطحي وفي أحيان أخرى مفرغة عبر كشط عميق لرسم بعض النقاط والخطوط البيضاء كبعد تزويقي بحث .

وأخيرا : يسعني أن أقول : إن هذه التجربة الناشئة بما تحمله من علامات تفرّد وتمييز يمكن لها أن تتطور نحو تجارب أكثر نضجا وعمقا ، وأعتقد أن حسان عمراوي فنان مشاير و متمرّد على التقاليد التشكيلية .. عساه يمضي قدما في تجاربه وبالتالي يساهم مع نظرائه والأجيال القادمة في تحرير الفنون التشكيلية العربية من المحاكاة المحلية : فالعالم فسيح .. مليء بامكانات لا تنتهي ، علينا فقط أن نفسح المجال لأفكارنا كي تترجم إلى منتج تشكيلي مفتوح يستبقي التكرار إلى الفعل الإبداعي الحق .

الفنان في سطور :

ولد حسان عمراوي سنة 1969 بباتنة (الجزائر) . درس بـ EBNA بباتنة و ESBA بالجزائر العاصمة . تخصص في النحت والرسم ، كما خضع لتكوين في الفتوغرافيا الفنية بدار الصحافة بالجزائر .

قام بالعديد من المعارض الجماعية بـ EBNA بالمسرح الجهوي بباتنة سنة 1991 ثم قام بعرض بياريس برواق إتيان ديناي Etienne سنة 1994 ، قام بالعديد من العروض الفردية بجامعة قسنطينة ، بجامعة أم البواقي بالجزائر ودار الثقافة بباتنة .

1994 : قام بالعديد من الجداريات Fresques في الهواء الطلق بـ نيفران (نقاوس)

1995 : قام بالعديد من الجداريات بمشوناس (بسكرة) .

1998 : عرض برواق اثنياترو (مركب المشتل) .

وعرض برواق الناظور (سيدي بوسعيد) .

الذّوبان حبّا...!

شعر : مصطفى أحمد النجار
سوريا - حلب

سألتني اللّيلة عن حالي
عن تمر الدالية العطشى
سألتني اللّيلة عن مطر
تمتدّ إلى قيعان بحاري
هل من حظّ أنّه تحيا
تطويك حكايات ورؤى
فأجابتها رعشات خضر
أثغل في دنيا وسعت
صلصال النفس هواياتي
في مدرستي ، في أطفالي
أتهجّي سفر عيونهم
أشتمّ حدائق أجيال
أسماء ، أفكارا ، ورؤى
أولادي ، كلماتي فلهم
عن حال القلم المحزون
عن أرج الشعر المدفون
عن سهر يقات عيوني
بحشا عن درّي المكنون
بفراغ من غير خدين
وتذوب كشمع مسكين ؟
كلمات بيض تغزوني
وأتسعت لرفيف الطين ؛
تشكيل العقل : تلاويني
عقلي مفتون المفتون
أسمي ببريق عيون
والطيب الأخضر يحدوني -
تنمو كنموّ الزيتون
وبهم تخضرّ تلاحيني !

مفردات من معجم الرافدين*

شعر : الأزهر النفطي

يقول أبو الطيب المتنبي في أول قصيدة مدح بها كافور الإحشيدي

كفى بك داء أن ترى الموت شافيا وحسب الناي أن يكن أمانيا

رسم الهوى سبل العراق أمانيا
فتناثرت درر الفرات قوافيا
وتعانقت كتب القريض مع الرؤى
لتهدد الأحزان في أنفاسيا
وتنافرت طرق النجاة مع الأمسى
لترعرع الأوجاع في أحشائيا
وتزاحمت لجج الحنين بدجلة
كتزاحم الأشواق في أعماقيا
ولقد عشقت من الكرام صمودهم
فتكاثفت سحب الهوى بدمائيا
وتبرج الوزة المدلل بالندى
كتب العراق قصيدة بحروفيها
فتدفق الشعر الجميل محاكيا
كل الرشيد معاضدا ومناجيا
وتخاصم الوجد المبرح والنوى
لتفاقم الإبحار في أشعاريا
وتجاور النغم الشجي مع الصدى
وتقاسما عقب الورود تراضيا
وتمازج الوتر الحزين بصاح
وتهامسا بين الرفاق آماسيا
فترقرق الدمع الجموح مواسيا
طفل العراق ثوانيا ولياليا
فتمهل السرب المراوغ شائنا
نذر الحصار تعلقة وأحاجيا
سمة العراق حضارة وملاحم
حكمت العصور تراثها لسطوريها

فترادفت صور المآثر بالعلی
وتصدّرت قمم السحاب مرثيا
بديار عقبة للعراق أحبة
كتب الخطاف حروفهم بكتايا
وسع الكتاب سطورهم وسلامهم
سكب الجمام حنينهم بمدايا
فتسلّت قرطاج من شرفاتها
لتدوّن الأشواق في أبياتيا
فتكحل الخضر المنارس بالأسی
رسم الحدود مآتما ومآسيا
فتمرد الجرح المعربد ثائرا
وتسامق النخل الخجول رواسيا
وتعاضم الصبر الجميل مرواحا
بين الأحبة ناصحا ومداريا
فتماسك الشعب العظيم معالجا
أثر الحصار مداملا ومداوبا
لزم الصمود تجلّة وبطولة
عشق البناء مآثرا ومعانيا
كتب الجهاد بقادسية قائد
رفع العراق مرثيا ومعاليا
ملك القلوب بحكمة وشجاعة
رسم الكفاح على الشفاه أغانيا
فتعاقد الطير الأليف مع الذری
قصد العراق مرافنا ومنافيا

ولكن لابد من الإشارة الى مشاركة استثنائية .. وذات
معنى مميز .. وهي مشاركة الشاعر التونسي الراحل الأزهر
النفطي .. فهذا الشاعر .. يواصل الحضور عاماً بعد آخر ..
رغم قلوه الخاص ، فهو يصح ، ومع ذلك يأتي من تونس الى
بغداد ، عبر الأردن .. لا يموت أي عائق ، فيكون أول من
يصل الى بغداد من بين المرديين ..
ان الأزهر النفطي .. الشاعر العربي التونسي ، المؤمن
الشجاع ، نموذج للموقف القومي القوي الاخلاقي الاصيل ، وهو في
اطلأته المديدة كل عام .. يزور بأولئك المستعدين على
ابواب اعداء الأمة من استعمارين ومهاجرة ..
اهلاً .. بجميع ضيوف المريد .. واهلاً .. بالشاعر العربي
التونسي الأزهر النفطي ..

القي الشاعر هذا
القصيد في مهرجان
المريد ببغداد (نوفمبر
1998) وقد لقي الأستاذ
الأزهر النفطي ترحيباً
من الأدباء وتنويهاً في
الصحافة الثقافية من ذلك
ما جاء في جريدة
"العراق" بتاريخ 30
تشرين الثاني 1998 في
ركن أفكار ورؤى :

حزن القمر
دقت على أبوابنا .
لعنات كفك يا قدر .

* * *

هي آخر الكلمات للأحباب

أغنية الوداع .

على الطريق المكفهر

حان الفراق ...

دعا الرحيل .

فأوغلت وسط الفلاة قوافل .

<http://Archivebeta.Sakhrit.com>

عمّ الكدر

وغدا نبوح على تباريح النوى

نشكو المواجه .

لا لقاء . ولا خبر ...

ويكون آخر ما نطقنا من الكلام

إذا هفا دمع العيون وداعكم .

فبكى الوتر

ناحت دروبنا ... والمرايع ... والحجر .

جانفي 1998

آخر الكلمات

شعر : الهادي العثماني

هي آخر الكلمات في درب السفر .
قلنا الوداع :
فأجهش الطير بكاء .
ناحت الأزهار وانتحب الشجر ...
* * *

شبّ الجوى .
فقلوبنا جرح تعلّمه المواجه حزنها
وتعلّق الأشواق رايات الحنين بدرينا
حمّ الرّحيل ... فلا مفر ...
* * *

<http://Archivebeta.Sakhrit.com>

هي آخر الكلمات ... تشهد أننا
أسلمنا حذاء المطيّة في الرّحيل زمامها
وقذفنا أنفسنا الجريحة .
في اكتئاب للسفر
* * *

هي آخر الكلمات .
آخر ما نطقنا به معاً :
غصّ الكلام . علا الشهيق
وقفنا نذرف أدمعاً .

« هذا ما دونه شاعر »

شعر : صفاء ذياب
العراق

1 - ربما ..
تنضح المرأة يوما صورتني
فأصير زهره
أو ...
أصبح السمع لمعزوفة ما
فأطير

2 - المسامات التي تتخلل هامتي
تنز عن أفعي
والمروحات
التي يدلكني يوامي بها
تحيض
وإذا توقفت
أكون أنا !!!

3 - أنا سفينة شطرت صوب بحر
بعضي ، يسأل بعضي !
- من يكون ؟
شاخص ...
كأعواد وقت
واقف ..
وظلّي يدور

4 - أيّ هذا الذي يقلقني
وأنا مبلى بالذنوب
هانج في جة الأمطار
لكني ..
أتمني لو أغور

5 - هذي شعابي

منذنة

دخلت في بطن حوت

6 - أسجن بين حروف المنصب

أمكث

مائدة !!!

فأفيض

7 - رُتقتُ قبعتي

ولهذا ...

صودر ناقوس الكلمات

8 - آجر ما يولد في

تمتمة

تسحبني لبقايا ذاكرة نخرة

أمدلت ثيابي فوق البحر

فرايت

طيورا تخرج من أصومعتي

لتموت !!!

9 - هذي معجزة

أن أمشي

فأرى ظلي

لا .. تأخذ كأسا فارغة

لتناطح أبواق الريح

10 - ماذا ..

يخرج من تلك الصخرة ؟

ماذا ...

يخرج ضرس النملة ؟

ماذا ..

يكتب شاعر

وعلام تموت فراشه ؟



حناء المواعيد

شعر : الصحبي العلوي

انتهت دروشة التفرد والغياب
وابتلع ذات امرأة كل بقايا المدينة
وأبت به أردية العطورات واغتسال
آخر الليل إلى الشقة
توزع أوقاتها أطرافاً مضرجة بلهيب
الشوق وحناء المواعيد القديمة
وارتعاشات الأرصفة
ثم ضاعت بندلونة الساعة السابعة
عندما غرغر رحيق الأبنوس
في تجاويف الخلق
واكتملت آيات الليل ولفطت
آخر أعواد الثقاب الأصابع
وانطلق دخان الساعة مابعد
بندولة الثامنة يمحى عباب موعد
لن تهدأ فيه المرارة
تسلق آخر عناقيد الوصل
ثم مالت به عذوق - السانبا -
لتصلبه من جديد على
حرائق من بطن تكور فجر يوم
ثم صاح هذه قطعة أخرى . وللجمر بقية
ولتبدأ أكداس الوجع .

جنون...؟!...

شعر : بلقاسم برهومي

①

في عالم مجنون
ما الذي يكتبه الشعراء ؟
وكلّ الحديث هراء
صنعوا ألف نوع للقنابل
ومازلنا عندما نقاتل
ننشد القصائد العصماء ..

②

في عالم مجنون
ضاعت الرحمة بين الأرض
والسماء
يا رفاقي التعساء
نموت ونحيا : فقراء ...
لأننا بالصمت ..
لأننا بالخوف ..
زرعناهم - في أرضنا - أمراء ...

③

في عالم مجنون
التي أحبتها - تبادلني الودّ -
صباحا
وتخونني كلّ مساء ..
وتخونني كلّ مساء ...

إنك دنيائي .. لكن

شعر : حفيظة القاسمي

يا شذائي

يا عذابي

هاك مسكا من شبابي

هاك شهبا

هاك نجما لا يحابي

هاك نومي

ARCHIVE
<http://Archivebeta.Sakhrit>

أمتطي غيم الحليك

لاجمع لك أنت يا مليكي

ماتندي من رضاب الزهر سرا

حتى تحيا بالخلود

إنك الدنيا .. ولكن

لو وقت كل الورود

وشجت لحن الحياة

وتناغت للبلابل

كل أفراس الوجود ...

ما حضيت ، لو سماعا ،

بظليل من هيامي
وشرودي بك أنت لو دريت

* * *

اسأل النار لظي
اسأل الناي شذا
اسأل الريح تسافر
بين أجناح الخلود

ARCHIVE

<http://Archivebeta.Sak> وسجودي

أطلب الله رحيمًا
أن يزيد من لظاي
ويحلّيني سهادًا

وسنّاي ... لا يكحلّ بالنشيد
حتّى يتسم حبيبي .. للندي

ولألوان الفراش
تتعطّر بالضياء

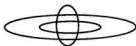
فيتوجّ والشموس قد تغشّاها الذّهل
روح حبّ ... ووقيد

* * *

كن حياتي
كن حياتي ...
ولا تكن نجمي الوحيد
لأنّ وجدك سيدي
يحرق حلم الوليد
ولأنني يا سيدي
أعشق الصمت ليالي
وأعشق تعريش الكروم
مع الدوالي ..
فهي ظلّ من بهاك
ولأنّ أفراسي تكلّ
من لهاث قد يغالي
أترك الحور الجنان
يتعطرن بدلك ... لا أبالي
فلقد رضيت ظلّ ثوبك
من بعيد .



القصرين 1996/10/27



المتاهة

بقلم :

شكري معمر علي

الجزائر

كلّ الأشياء الجميلة أتت متأخرة في حياتك
بعد فوات الأوان . بعد مضيّ السنين
فيعتريك إحساس بالوحدة والضياع ..
ألم ترد منال شيء من الحياة ؟
حدّد مطلبك ، اخرج من هذا السّجن الرّهيب ..
كلّما بحثت عن لحظة حبّ وسكينة كان موعده مع
الألم . مع الفراق <http://Archivebeta.Sakhrit.com>
وفقّعت أنّ الحياة ألم وفراق ، معترك صعب ، فراق للأحبة
.. لمن سكنوا ضفاف القلب وسقوا زهوره الذابلة بدموعهم
المتألّقة ..

قلبك هذا الذي ينيض بالإنسانية سبب كلّ الأدواء ..
قالوا لك : غدا ستنسى وسينسون وتحف الدموع في المآقي
ولا تبقى إلّا الذكرى ..
فقلت : الذكرى هي الجمرات اللّاهبة التي توقد نيران
الاشواق وتحيي الماضي من جديد فتتراءى لك صورته ..
فتستيقظ أعاصير الأحزان تثير زوايع الكلام .

ما الحقيقة

شعر : نعيمة عويشاوي

تصدير : قيل يا حلاج ما الحقيقة ... قال الحقيقة ماترى
فكان مصولوبا ...

صه ! حفيف قادم من خلف المدى ..
من نجمة خرساء بالكلمات آفلة
صه !

وقع حذائها يندق أجراسي
ويعلن قسيس كنائسي
أنها صلاة ... لا تحترم مواقيت الصلاة
لكنها ... حين تطل .. تمزق صمت المذنة ..
صه .. أطياها من السور المسيح بهشيم الأشواك
تقترب ..

تزف لمرافئ السكينة بداخلي
بالحروف حبلى بسياط القوافي مكبلة ...
صه !.. تأهب لمحفل الخرساء جاثما
ومن لمسات نداها على الشفاه .. انتبه
فقد تنطق الخرساء من لحظ الردى

وتسكب الدوالي المعتقة
خذ من نبضات الحلاج قلما
ومن أشلانه.. ورقه..
دون ما طاب قطافه
من حوى الكلمات... وأحفظ منه النوى لا تبعثره
قد تتالى السبع العجاف
وتتاكل جثة الحلاج... بين مخالب المقبره
خذ من خرساء الكلمات
ما تشذ القرائح... عن مقصده
قد ينفذ الكلام... ويظل منه
ما وقف في وجه العدالة مشتبّه
صه... فلن تتهم بجريمة اقترفتها
بفتاة الريح مية اغتصبها
صه..

وقع حوافرها يغزو مدائني
أسكب دمي حبرا... والظلمة محبرة
ومن الفراغ...
أخط بعض الكلمات...
في الصباح.. تعلن الإذاعات انتحارها
تنقل الجرائد خبر موتها
مية انتحرت
بين أمواج الردى
وخلف حجاب العتمه

رقص الطفولة

في الأزمنة الصّدة

بقلم : عبد القادر آل زكرياء

قبل أن تستلقي عيناى جنب مهجة الأشياء المفرحة ، غصت في سديم الرمال المتحركة ، التي تهذب بالأطفال بعيدا ... إلى أقاصي منابع البحار ، وجررت خطاي بعبية "إبراهيم" ، ثم رسمت في مخيلتي عجيبة مدورة من تمر "الكليجة" التي ما عرفناها تخبر في غير مواسم الأعياد .

كانت الأصوات المتعددة ، القابعة بين تضاريس طفولتي ، القادمة من بعيد ، ضبابية ومحزومة بسخط عبثي ... ولم أدرك لماذا ؟

<http://Archivebeta.Sakhrit.com>

قد يكون أصابني الإختناق بسبب اصطفاق وجه السوق بطبعات حذائي الموحل على خدود الرصيف . وقد يكون جلف المارة قد نافس مزاحمة الحمّالين للبالغ والحمير . لكنّ التبرّم من شكل الطبيب ذي الوجه الصارة ، وعسف النظرات الشهوانية للممرضة الأربعينية قد فرّق الأصوات في طبيلات أذني بكل صخب العنف ، فسكب نفايات الشيء ذاته في شرايين قلبي ورقبتي ، وفسح المجال لكي تمنح الزوجة ديقها في حبال حنجرتي ، بينما "إبراهيم" يقطع كفي اللدن بقبضته الحشنة ، تلك التي توزعتها أصابع من دايناميت ..! أما الفرق الوحيد في فضاءات الأصوات المتداخلة عند دائرة انتمائي الأسري ، فقد كانت بين درجة توسع حدقات أبي وهو يضمّني في بؤى عينيه ، وفي مقدار ما يمنحني إياه من "الفلسات" مع أن "اللوزينا" كانت دائما وستبقى في ذاكرتي حلما بعيد المثال . لقد تقيأت ظهر ذلك اليوم كلّ الشعابين والضفادع المكبوسة داخل قنّان محكمة السداد ، الغائصة

في سوانل صفراء راكدة والمصفوفة على رفوف غرفة طبيب المستوصف المتخندق بين كبرياء مفتعلة وساعة معلقة .

لقد رقدت طوال جيلين وهي تتقلب من ضغط الكثافات ، وتنزق مرارة الولوج في العدم . ويوم تألقت في صمتها ، فقد الصوت رنينه ، وأدّى الصدى وظيفته بامتياز حركة البهلوان قبل أن يصفق له الجمهور بانذهال . فلا أحد يدرك كم هي فرحة الراقص عندما يطير في الهواء مرتين ... حتى لو نزل ساقطا على رأسه !! فلسنا نحن الذين نرقص ، لكنه الخيط ... وإذا ما رقص وهو ساكن ، فان صورة أحدنا هي التي تجعله يقفز ، حينها ترى .. أ تكون أنت !!!

بعد أن اجتزنا بوكبات مدن العالم السبع ، وتخطينا مدخل غرفة مدير المدرسة ، التصق جسدي بركبة "إبراهيم" وفخذه ، داخلًا وإبّاه عرش مملكة الحلم الذهبي . حينها بدا لي المدير معتدلا في جلسته ، وسدّارته المدفوعة قليلا إلى وراء رأسه ، منحتة بعض وقار ، و"السلاية" استقرت بين أصابعه بثبات محترف . غاب لهنيهة وكأنه يخطّ بداية الطريق فوق صفحة مستقبلتي ، في الوقت الذي ظلّ فيه يجترّ محاضراته المكررة والمشروخة ، ثم يعيد صيغتها في أذن "إبراهيم" قبل أن تستلب الإنسانية من لدن الآخر . وحالماتهاوى الأخير في بئر ضعفه قاوم الإضطجاع الغافي الذي راوده بالحاح في تلك الساعة .

وحينما تصنّع الإمتناع عن السقوط إلى الخلف ، وكأنه يستلف إصغاء مهبولة قبع في أسفل سداخته المغفلة بأدب مرقّع ... !

يا له من خيط مدهش ذلك الذي يربط "إبراهيم" بأسرتي قبل أن يتحوّل الغبار الناتج عن خيول "سيركه" إلى تراب من ذهب مغشوش . وعندما أدرك أنه مقطوع من شجرة ، حاول الوثوب إلى داخل جرح ضعفه ... ساعتها فقط تمكّن عبر شرنقة العالم الجديد . المستوصف/ المدرسة ، من أن يكتشف القوة والجبرأة ، ويعثر على الوجود الصلب في رنين صافرة المعلم وغلط عصا المدير ...

مضغت مصارين الحوارى الممتدة ما بين المنزل والمدرسة . وحين غيَّبني التحديق في منارة جامع النبي جرجيس ، إستقرت على قمة اللحظة وأنا أقلب حدى في سيولة اللاوعي .

وعندما أحسست بضعف كف "إبراهيم" القاسية ، سكنتني بعض الوحشة وافترسني شيء من السكون الباهت ، كما لو أن الموجة لن تسقط أبدا فوق أكتاف "شبال العلم" ثم صرت أجري أقبل البريق بين يديه ...

في اللحظة التي توقف فيها الزمن بعد خمس وأربعين سنة من رحيل "إبراهيم" ، اكتمل المستقبل أو كاد بالنسبة لي في الأقل حتى غدا نوعا من الأبدية . تطاول كيما تستدعي الماضي والحاضر والمستقبل تحت شكل يتماثل وضرورة التاريخ العفوية ، لكنها أبدية كاذبة سخيفة ، تلك التي تلاشت في بؤرة الفجوة عندما تصوّرت أنني حققت فيها ذاتي ...

رغم أن جسد التلميذ - الرجل ينهار ، والرعب يتبعث من بين ركام الصراخ ، والدّم يخضب "أمية" أوراق والدي غير المقروءة ، والقلق يغيب يوسادة أمي بعيدا عن منام أبي ... هي التي نامت تلك الليلة من غير جنازتها ؛ إلا أن الفتحة الرهيبة التي ظلت مستيقظة في كوة شبّاك الزمن ، كانت الضربة الموجهة في مؤخرة رأس من "حتى أنت ؟ ! ... !

وحين امتزج كل ذلك في قحف مخيلتي في تداع متتال وأنا ممدّد قرب سجادة أمي ، والهزة ترتل صلاتها تحت الموقد ، انقلب العالم مرتين واستقر تحت قدمي ، ثم ذاب في الوحل ملوئا الأيدي والنظرات والزمن الغائض في لجّة ضرورات الحدث ... المنتحر أيدولوجيا ...

لم أكن أنا الذي أندesh عندما تقيأت الضفادع وأفرغت الثعابين المكبوسة داخل القنينة في صحن الشورية... لكنّه "إبراهيم" !

فالأزمة الصدنة هي التي تتصافع !.....

ولم أتغيّر !!!

قصة قصيرة اكتشاف المدونات والرقم

الطينية الحديثة

(كتب التقطيع)

بقلم : علي عبد النبي الزبيدي

العراق

* الحقائق والأكاذيب عدوان لدودان ، ثمة صراع ألي (بشحيواني وحيويشري).

حكايا سرية ، الحقيقة تعاني من فقر دم ذاكرتي وشجاعة قلم بصير العينين قصير

اليدين ، الأكاذيب : تأريخ عريق من الدم ، خليط حامضي من العظام واللحوم ،

مزيج كيميائي من الصرخات والصيحات والأنين ، أرقام رياضية تجاوزت القياسات

غير المتعارف عليها . <http://Archivebeta.Sakhril.com>

* محاولات الكشف والتعرية . داخل الكتاب . هي مجموعة من الهذيانات

اللامتناهية أشد ما يدمرها ظاهراً الوقائع تلك التي يغفو العوام على إبقاعها ، تدب

الحياة فيها كلما اشتد الشخير حتى تصبح مع استمرار النوم حياتهم الأساسية عنده

اتصل إلى مراتب عليا في السبات الربيعي .

* إن (الإدانة) هي السمة الغالبة على الألسن المقطوعة ، كثيرا ما تثرثر بقلب

مفجوع لكنها . أي الألسن . تصرخ عادة بقوة لكن صراخها لا يتعدى الخنجر

دخولا إلى الأحشا ، مروراً بأزمة جوفية ، خروجاً من آخر نقطة في الجهاز الهضمي .

* كتاب التقطيع ... مخطوطة لا يستعد مؤلفها نشرها في الوقت الحاضر على أقل

تقدير حتى تتوفر الشروط التالية :

أولاً : أوكسجين لم تمسه ذرات ثاني أوكسيد الكربون على الإطلاق ...

ثانياً : أوراق خالية من البياض .

ثالثا : عناوين لم تحترف بعد العزف على أوتار مقطوعة .

تقدّم ...

تقدّم المنشار الكهربائي باتجاهي ...

وضعوني في كيس كبير أسود ، ربطوه من فوق ، رحمني أحدهم بشقّب الكيس
باصبعه المنتفخ ، حسبته أراد أن يفتح عيني لكنه كان يقصد أن يدخل الهواء
لأغراض التنفّس / الرحمة الحقيقية هي التي تصدر من القلوب الحجرية /
قدفوني في السيارة ، هي سيارة كما علمت بهاعدد ما تحركت من مكانها ،
السرعة الجنونية جعلتني أدرك أن قرار مهما صدر بحقي ، لكنني لا أحتاج إلى
قرار ، أنا لا شيء ، لم أعد إنسانا بالمهوم المتعارف عليه ، أنا شيء آخر ، الإنسان
كما أتذكره له ساقان وذراعان ، له عيون وأذان .. لا يمكن أن يكون قد تغيّر عن
الصورة التي تركتها عليه منذ ، منذ .. لا أتذكر ، كنت أهرّز داخل السيارة ،
الكيس أسود ، لا أرى شيئا ، كيف رأيت لون الكيس وأنا أعمى وقلت دون تردد :
(إنه كيس أسود) ، عندما كنت أبصر رأيت الجثث ، أعني مجموعة العظام واللحوم
توضع في أكياس سود وتصدر ، أقصد ترسل إلى المدافن الجماعية الخاصة ، الكيس
يهتز ، الذي يهتز هو أنا ، سرعة السيارة هي التي كانت تجعلني بوضع غير مستقر ،
يكبسون الأغنام في (السيارات الخشبية) رؤوسها تخرج من فتحات النوافذ ،
تطلق نغما ، دفعة واحدة ، رافضة وضعها المهين : (نحن الحيويشريّة ، لسنا
بأدميين حتّى تكبسونا في السيارات الخشبية) . في زمن الأكياس السود الكل
يتحوّل إلى عظام ولحوم متناثرة سرعان ما تجمع في داخلها ، ليس المهم أن تكون
تفاصيل الأجساد متشابهة ومعزولة حسب هويّة الشخص ، بل الأهم أن يمتلئ
الكيس ويحسب عددا ضمن الأعداد الكبيرة التي ترسل بعد أن يصبح رقما
ضخما يضاف إلى قائمة الأرقام السمان ، كيس وضع فيه خمسة أذرع وآخر يوضع
فيه ساق واحدة وثلاثة رؤوس ، كيس آخر يوضع بداخله عشرة أذرع وأحشاء ،
أوردة وشرابين وآخر يوضع فيه خمسة رؤوس فقط ، وآخر يمتلئ بالأحشاء ، ثلاثة
قلوب ، كلية ، أربع أكباد ، معدة ، ركبتيان ، قفصان صدريان .. الأهم أن يمتلئ ، لا
اعتبارات لما في داخله ، يشطب على الأسماء ويتم الاخبار عن تصفيتهم بعد أن

يكونوا قد اعترفوا وأدينوا من أفواههم القذرة : (قشمر ، كلب بن كلب ، قرد ، اليوم
 أحولك إلى كلب أجرب إذا لم تعرف ، ... أجعلك تنبح ، اسمع سالم .. الليلة سأضع
 قنينة الخمر في مؤخرتك ، أضعها ، كلها ، اطمئن ستكون فارغة لأنني سأحتسيها
 كلها من أجلك ، الليلة نسهر أنا وأنت وقنينة الخمر) .. أنا أهتز ، السيارة تسلك
 طرقا ملتوية ، لقد عرفت أو أحسست ، حاسة جديدة دخلت عنوة في جسدي جعلتني
 أشعر بأشياء ، أستطيع من خلالها أن أستدل إلى بعض الحالات المهمة ، طرق سرية ،
 انقلبت رأسا على قدم ، الجلوس داخل الكيس يذكرني بأربعة أذرع وساق واحدة
 وبعض الأحشاء ، رحمني عندما ثقبه بإصبعه المنتفخ ، اهتزت عنف ، لشيء ، يستحق
 كل هذه الضجة ، من أجل من ؟ ماذا ؟ أنا جثة لا تحتاج إلا إلى الدفن : (الليلة يا
 سالم الفهدي أحولك من أستاذ في التأريخ إلى حشرة أدوسها بحذائي) فلفوني
 بالكيس ، هدية متواضعة ، كتبوا تأريخا جديدا ، مسحوا كل الأسماء والتواريخ ،
 جففوا الدماء ووضعو علامة (في) على ذاكرة الشوارع والبيوت والمقاهي ، حشرة ،
 الحشرات لا تحتاج إلى قرار أو اجتماع سري ، أو محكمة وقضاة ومحامين و... و...
 ... ، قذفوني كحروف صغير ، أصعد ، اسكت ، اكل (...) واسكت ، قواد ،
 سافل ، ساقط ، ولا حركة ، لا تنفّس ، خائف ، أنا ربيع إنسان ، نصف ربيع ، لا
 أرى بالعين المجردة إلا بالمجهر ، القرارات المهمة عادة تصدر في الليل ، في أواخره
 على وجه الدقة ، العشاق يلتقون في الليل بقلوبهم الهائمة في الفضاء ، القمر
 شاهد على كل كلمة يقولونها ، عندما يدبّ البرد في ضلوع الأجساد الدافئة ،
 يجلس الأطفال والكبار يتسامرون حول المدافئ ، لحظتها يكون الليل قد فقد زمنه
 لساعاتي فتتوقف الثواني والدقائق والساعات وتتلأشى تكتكات الساعات القديمة ،
 ربما كان ليلا ، ربما ، أنا لا أرى ، الكيس أسود ، أكرر دائما كلمة ((أنا))
 لماذا ؟ لا أدري ، لا فرق ، اسمع زغاريد بعيدة وأغاني غلبة ، سهرة عرس بهيج ، لا
 أسمع ، كيف أسمع وأنا بلا أذنين ، أطفال يلعبون ، لكنني لا أكذب ، صوت الليل
 مسموع ، أحدهم يتزوج الليلة ، يرتدي العروسان بدلتني زفافهما الرائعة الجمال
 وارتردى كيسا أسود ، سرعة السيارة الجنوبية تؤكد أنني في طريقي لمحضور حفلة
 عرس ، القرارات المهمة لا تصدر إلا في ليالي الأعراس ، السمع والرؤيا للقلوب كما

تصرّح بذلك (أمّي) كلّما ضاعت منها (عيوناتها) بالرّغم من أنّها تترقد في أحد جيوبها السرية ، لكنني لا أملك قلبا ، لأنّهم أخذوه منّي مقابل أن أعترف لهم بجريمتي ، لا بأس ، عندي قلب آخر ، فيه بطينان وأذنان أمين وأيسر مهمته ضخ الدماء إلى الشرايين والأوردة وبالعكس ، هذا القلب ليس له علاقة بالقلب الأوّل ، لأنّ ذاك يعمل كمولد لضخ الماء لسقي الأراضي الزراعيّة ، أمّا الحقيقي فهو مركز للمشاعر والتأثيرات الخارجيّة ، مقر للحزن والفرح ، أوّل من يتأثر بعملية قلع الأنف والأظافر والصعقات الكهربائيّة وأوّل من يضطرب عندما يضعون قنينة الخمر في مؤخرتك ، وأوّل من يتأثر عندما ينادونك بـ (قواد) وأوّل من يصرخ عندما يعلقونك من قدميك حتّى صباح الديكة التي تسمعها بقلبك ، فالسمع للقلوب ، أمّي تقول ذلك ، هذا القلب وضعني في مواقف حرجة جدّا ، فضحني ... كان يطلق صافرة انذار مبكر كلّما شتموا أمّي بكلمات نابية ، ابن الزانية ، أم الرجال ... أمّا عندما يربطون عضري التناسلي بحبل رفيع ويفرغون في جوفي قناني (البيرة) ، أفقد القدرة على النطق ، أتكلّم بلغة يرجع أصلها على ما أعتقد إلى العصر الذهبي (العباسي) ، كم أحتاج لحظتها إلى البول ، فالبول على الملابس تطهير روحي يتبعها سقوط الدماء كالحَيَوط ، فكل شيء يهتزّ ، السيارة تطير بي إلى أمكنة مجهولة ، خرافيّة ، هناك حيث يتحوّل البشر إلى مسوخ ، يصبح الإنسان قردا ، أو خنزيرا ، أمكنة معتمة ، أشباح ، جدران من دماء ، رجالها .. نصفهم الأعلى رأس أفعى والنصف الآخر بشري ، كثيرا ما حدثتني أمّي .. (كان الملك الجبار يأكل كلّ ليلة مائدة من البشر المقطّعين ويشرب دماءهم) كنت أرعجف رعبا ، أحاول أن أختبئ في حضنها لكنّها كانت تهدئ من روعي قائلة : (إنّها حكاية خياليّة ، لا أساس لها) ، أعتقد أنّ اسمي (سالم) ، أعتقد هذا ، في الحجر ، هيّا بسرعة ، اجلبوه ، اسحلوه ، أسمع بعض الكلمات وأخرى لاتصل إلى سمعي بطريقة صحيحة ، فتحالباب بقوة ، ضعه في الكيس ، لا تقاوم ، أجرب ، أنا أقاوم ؟ كيف ؟ بماذا ؟ ثوب جميل ، ما رأيك به ، الكيس مفصل عليك ، اقلّفه في السيارة ، أنا سالم الفهدي أستاذ التّاريخ الحديث ، أنا هو ، أتذكر أنّني هو ، من أنت ؟ اعترف أنّها القرد ، لا أدري ، لا أدري ، لا أدري ، أين العصا الكهربائيّة ؟ علّقوه ،

جرّ خصيتيه ، انقلب كثيرا ، السيارة لم تنقلب ، عملية جراحية أخرى استئصال ؟
خياطة ، قطع آخر ، قلع ، ماذا؟ اعتدت أن أكون بداخل كيس داخل سيارة ، غرفة بلا
نوافذ ، لا أبواب ، منحجر ، حفرة ، صندوق ، مراحيض ، المراحيض أعظم غرفة
عرفها التاريخ البشرياني ، العالم كله أفرغ حمولة بطنه على رأسي ، رائحة
المراحيض صارت لصيقة بجسدي وروحي ، رائحة تأريخية ، عندما يقولون أدخل ،
أنهم أن ال / أدخل / وراها إعادة تعليق وتحقيق ، تعليق من القدمين ، هراوات ،
عصا كهربائية مسامير تثبيت على الأصابع ، وتحقيق من صحة هوية القلب ،
خصيتاي أصيبتا بترهل غير اعتيادي نتيجة الجر المتواصل والربط المستمر والحنق
والرفس والضرب ، أفكر دائما ، ماذا فعلت لهم خصيتاي حتى بشنوا عليها هذه
الحرب التدميرية والعداء المستمر ، الفن الأصيل يقوده فنانون أصلا ، يتفنونون
بالطرق الأكثر فائدة للصالح العام ، يقضون ليلهم كله يفكرون بأبداع محاولين إيجاد
الوسائل العلمية والعملية في انتزاع (الإعترافات) ، مبدعون حقيقيون ، وراء
الكواليس ، عقول جبارة ، مواهب خلّاقة ، رؤوس مفكرة... كل ذلك يصبّ لأغراض
سلمية بالرغم من ممارسة التجارب الكثيرة في كيفية قلع الأظافر أو بتر ذراع أو
ساق أو رأس أو وضع قنبلة في مؤخرة ~~للمتهم~~ ^{للمتهم} أنها تجارب عظيمة غرضها الأساسي
والسامي والتبيل هو اختصار الزمن (الحياة) ، حذف السنين ، وبالتالي الإعتراف
بالتهمة حاصلة أو غير حاصلة ويزمن قياسي لا يتعدى الثواني ، الأهم أن يعترف ،
يتفوه بكلمات يكون فيها مدانا إدانة لاتقبل الشك ، خائن ، جبان ، الدفن حيا
قليل بحقك ، أطفال يلعبون ، أسمعهم ، سمعي ثقيل ... السمع للقلب ، يرددون
بعض الأغاني التي لا تمت إلى طفولتهم بصلة ، الظلمة التي داهمتني أعتقد من
الكيس الأسود بالرغم من أن صندوق السيارة مظلم هو الآخر ، كنت كتلة سوداء ،
داخل مستطيل السيارة ، لا أصطدم بأي شيء ، سوى الجدران الحديدية ، لم تكن
رجفة على الإطلاق تلك التي داهمتني ، كنت أهتز فقط واهتزازي نابع من حركة
السيارة الملتوية ، / عثرنا على كتابك ، الأوراق ، كتاب التقطيع / ، // ندينك من
كتابك // .

(جاء في مقدمة كتاب التقطيع) :

إنَّ اللّٰحْمَ الإنسانيَّةَ التي (هربت) من مخالب الغابات خوفا من سلطة الإقتراس اللّٰحظويَّة اتَّجهت خلال مسيرتها الطويلة إلى أمكنة أمنة محاولة الإستقرار بهدوء . بعيدا عن عمليَّات التقطيع التي هي شعار الغابة الرسمي . إلّا أنَّها .. اللّٰحْم الإنسانيَّة . وبعد سنين عريقة من التوحُّش والقتل والتقطيع لم تستطع أن تتخلص من الممارسات البشعة التي كانت مهيمنة على سائر الأجناس (البشحيوانيَّة) وقتذاك لذلك غادرتها الصفات الأليفة بسرعة خارقة وحلَّت في روحها لعنة جديدة . لعنة الإنسان ضدَّ الإنسان ، أي أنَّ اللّٰحْم الإنساني (الأحادي) أصبح مزيجا من اللّٰحْم الإنسانيَّة (الجمعي) فأن يكون فطارك اليومي على سبيل المحصر ذراعاً أو بلعوماً مع ركبة أو لحم ساق مشروما... هذا يعني أنَّك ستخرج من بيتك صباحاً وعلى وجهك الملائكي أمارات الإنشراح والسعادة والحب ورؤية الحياة بأفق لحمي جديد ، وبالتالي انتقلت كلَّ الجينات الوراثيَّة (الحبوشيَّة) إلى (البشحيوانيَّة) فصارت مع تقادم الحقب الزمانيَّة لصيقة بعضها مع الآخر حتَّى إن وصلت إلى الإختلاط ثمَّ الإمتزاج أصبحت يطلق عليها . الجنسين . ما يسمَّى بالحبوشيَّة المتطوِّرة .

إنَّ الجنس (البشحيواني) الآن هو الجنس السائد بالرغم من عدم قدرة الجنس (الحبوشي) من المعاشية معه تحت سقف واحد إلّا أن ذلك لا يشكِّل مساحة فارغة على الإطلاق بل أنَّ البديل الجديد (البشحيواني) على درجة كبيرة من وفائقة من البروتينات والنشويات والفوسفات والسكريات تعادل 99٪ من القيمة الإجماليَّة والسعريَّة والثلجيَّة للأجناس الصخريَّة والنيادرتاليَّة والكورمانيَّة والجاوية المتقدِّمة .

إذن ليس غريباً أن يعيش في بيتك مجموعة من الأفراد نطلق عليهم (أصدقاء العائلة) كالدائنصور ، الأسد ، النمر ، أو بنام بجانيك تمساحاً بدلاً من زوجتك المسترجلة ، وليس غريباً أن تقدِّم ابنك الصَّغير كعشاء طازج لوحيد القرن ، ومن الطبيعي جداً أن تحاول هذه (الحبوشيَّة) الهروب من القيود البيئيَّة الصارمة خانفة من عمليَّات (التقطيع) التي تهدد جنسها بالإتقراض والإنفلات والإنذار والذوبان بأحواض حامض التيزاب المركَّزة والتي تمارس ضدها بين لحظة وأخرى خاصَّة في اللّٰحظَّات الحرجة التي تستقبل بها العائلة ضيوفاً ثقلاً . جداً إذ تكون ضحيَّة

عمليات الترم الجماعية إضافة إلى ذلك هناك الإهانة الدائمة وذلك بتقديم عظامها إلى الحيوانات التي تطلق عليها (حيوانات من الدرجة العاشرة) كالكلاب وبنات آوى وخليل رصاصه..... عائدة مرة أخرى إلى مكانها الأثري ، الحالم... الغابة .

إن التطور الحاصل في (التكنولجي) حدّد مسارا جديدا يضيء للبشحيوانية طرقا خدمية غذائية جعلته يقفز قفزات نوعية تصب كلها في خدمة عمليات (التجدد) فالتجدد هو (الإستبدال) اليومي للشكل البشري والسلفي ، أي تدخل (التكنولجي) في إبراز مواضع لحمية ونشوءات جديدة حديثة وبذا يكون التعبير باطنياً أولاً وشكلياً ظاهرياً ثانياً . إن تحول الأطفال إلى مخالب والأسنان إلى أنياب والمؤخرة إلى ذيل طويل والقلوب إلى حجارة على شكل تفاحة مخرومة والقفص الصدري إلى صدر حديدي وانتشار الشعر الأسود والعودة مرة أخرى إلى العيش داخل الكهوف بعيدا عن اختلافات البيوت ، إضافة إلى حلول لغة جديدة تكون بدلا عن اللغة القديمة التي أكل عليها الدهرونام ، هي (الغة الإشارات والأصوات) وبالتأكيد تكون القفزات البديل الأمثل للمشي على ساقين ، هذا يعني أن البشحيوانية الجديدة قد سايرت الواقع اللحي المتطور وواكبت الموجات الدموية المتقدمة التي ترفع شعارا عظيما في روضه وعظيما في هيكله وشعرها في جلده ، قفزاً في سيره ، شعارا أن البشحيوانية كسرت القيود الأجناسية التي وضعت الفروقات والعراقيل والحواجز والسواتر والجدران وحقول الأغلام والأسلاك الشائكة وبراميل (النابالم) بينها وبين (الحيوشرية) .

من هذا المنطلق التأريخي والإنجازي والجذلي يمكن لنا جميعا أن نتيح نباحا قويا خاصة عندما نحاول أن نكتب أو ندون أي جانب من الجوانب الإبداعية ، فمثلا عندما تعجبك قصة ، تقول لصاحبها : (كان نباحك رائعا) أو : (كان سهيل قصيدتك معبرا) أو : (أنت ديناصور مبدع) أو (ما أجمل فحيح هذه المسرحية)

- هذا ما ورد في مقدمة الكتاب .

لم يستطيعوا أن يأخذوا منه كلمة واحدة ، مارسوا معه كل وسائل الرفس ، تعبوا كثيرا .

- من الذي أفشى بأسرارنا ؟

- لا أحد ...

- إذن كيف تكلمت عن ممارساتنا بهذه الدقة ؟

- أتذكرون جابر ؟

- الحصان ... ؟

- حدثني بكل شيء ، قبل التقطيع !

يصرخ بهم باستمرار ، يسمونه (جابر الحصان) لم يكن جسده قوياً ، على العكس ،
هزاله الجسدي الواضح يؤكد ضعفه البدني إلا أن عقله وطريقة تفكيره المبدعة جعلت
قوة الحصان الجسدية تتحول إلى رأسه .

- زوجتك تسلم عليك ، مارأيك أن تراها ، هي الأخرى تريد أن تراك ، ستعترف أيها
الحصان ، لقد جلبناها إلى هنا لكي تراها .

تلف رأسها بغطوة سوداء ، وتغطي ساقها بجورب أسود طويل ، لا ترى منها
سوى عباؤها . قال بخجل : (عندما دخلت إلى (خليل رصاصه) لم يشرها وجودي ،
لم تصرخ كعادتها في الحالات الطائفة ، حتى أن (رصاصه) استفزته تصرقات
زوجتي ، لكنه قالك رأسته نظراً لها بزعزعة) (إنه زوجك) تحركت بالتفاتة
سريعة جداً ، شهقت ، ضربت على صدرها ، صاحت نائحة : (ماذا فعلتم به)
حاولت أنتحتضنني إلا أن رأسه تلقته من قدم (رصاصه) جعلتها تصحو ،
فالمكان يحرم فيه مثل هذي التصرفات الطائفة : (كتفوها ...) ، سمعت هذا
الصوت بقوة ...) عندما تكثر تكثر القطط في بيتنا تضع الصغار منها في كيس
أسود وتقذفها في مكان بعيد خوفاً من التكاثر واجتياح الجنس القططي الذي
يرجع نسله إلى فصيلة الداينصورات الأليفة ، هذا يعني جريمة بحق الجنس الإنساني
المتوحش .

- ما ذنبها ؟

- ذنبها أنها زوجتك .

- اعترف أيها القرد .

- اعترف أفضل لك ولها .

- ماذا ؟

- لصالح من كتبت هذا الكتاب ؟

- أي كتاب ؟

- التفطيع .

- لم أكتبه لأية جهة .

مرقوا ملابسها أمامي ، وعندما وصلوا إلى ملابسها الداخلية أغمي على ، عندما صحت و جدتهم ينتظرون صحتي ، امتلأت الغرفة برجال التعذيب (البشحيوانية) أعرفهم من شواربهم الطويلة ، كل وجوههم وصفعاتهم ورفساتهم وبصقاتهم تشرف بها وجهي وجسدي وجهازي التناسلي ، حاولت أن أعثر على سر الشوارب الطويلة التي يتفتنون بوضعها على وجوههم ، لكنني أدركت من الخبرة المتواضعة معهم سرها الخطير إذ أنهم يغطون بها على النقص الحاد في رجولتهم كونهم قد تم إخصاؤهم من قبل مرؤوسيهيهم ، حقيقة هذا السر الخطير لا يكتشفها إلا ذوو المخطوط الغدّة ، لكنه أدرك أن هناك سرا خفيا آخر ، فكيف ينالون مع زوجته ، وكيف فعلوها معه إذا كانوا ... ليسوا برجال ...

ليل الزنزانة من أنين مر ، هذيانات ، أحلام بقطعة ، تخيلات ، أوهام ، جنون مفتعل ، موائد من أكاذيب ، حكايا ، أساطير ، الليل لا يعني شيئا سوى ظلمته التي تزحف على الجدران والوجوه ... تبدأ أحاديث أخرى منأنواع خاصة ، كانت الجدران تحكي قصصا من دم ، انهض ابن الزانية ، بعجل ، ابن العاهرة ، كلب ، أخذني جانبيا ، همس بأذني بعض الكلمات التي لم أفهم منها شيئا خاصة أنها اختلطت مع رائحة الخمر التي ملأت صدري ، قال بوضوح : (ستكون هذه الليلة حمراء يا أستاذ ، تأريخية) جرّني من أذني ، لم أجد صعوبة في دخول الغرفة فقد كان الباب مفتوحا ، (كلنا بانتظارك) عيون حمراء ، أجساد تترنّج ، سرعان ما أخذني (خليل رصاصه) إلى غرفة أخرى ، يسمونها غرفة العمليات ، وضعني على السرير : (نم على بطنك) قيّدني عليه ، حاولت أن أتحرّك لم أستطع ، خلع سروالي ، القهقهات تفجر رأسي ، أفرغ قنينة الخمر على تفاصيل جسدي ، كانوا خمسة بشحيوانية ، يقودهم خليل رصاصه ، خيط دم يسير ورائي ، ليل الزنزانة

من دم . : (فعلوها معك أيضا) : (نعم فعلوها) ، طريق السيّارة طويل لامتناهي ، اهتزّ عندما تكتب تأريخا دمويا يلزم أن تدلف إلى غرف الدم ، كان الملك الجبّار يأكل كلّ ساعة مائدة كاملة من البشر المقطعين، لكن أمي تؤكد أنها حكاية خياليّة ، لقد فعلوها مع الجميع ، اطمئن ، ستأخذ على هذا الوضع ..

- مع الجميع ؟

- الصغير والكبير .

- سأنتحر ...

- كلنا قلناها قبلك .

- لقد اعتدوا على شرفي

حدثت (جابر الحصان) البارد وضعني في قالب من الثلج ، كنت أحتاج إلى زمن آخر ، زمن متوقف عن الحركة ، كثيرا ما تكلم عن نفسه ، يتحدث عن أحداث مجهولة ، بعض الكلمات اعتدنا أن نسمعها منه ، يشق بي تماما ، فيحدثني عن كلّ شيء ، خلعوا ملابسها ، بعدها خلعوا ملابسها الداخليّة ، أغمي عليّ ، خلعوا ملابسني ، أغمي عليّ ، عندما تبدأ عمليات التقطيع تتناثر الأطراف فتأكل الكلاب حدّ التخمّة لا تستطعنك إلى قطع كثيرة ، تأريخ من القطع اليومي ، عشنا على أوراق كثيرة وكانت تحت عنوان (التقطيع) ، من أنت ، اجتمع خليل رصاصة وسليم بلدوزر ومعهم وجوه لم أستطع التعرف عليها بسبب الإحتقان الذي أشعل نارا في مشانتي ، أرادوا أن يتوصلوا إلى بعض الأجوبة خاصّة أن كتاب التقطيع لا يعطي نفسه لأوك وهلة ، كنت أجيّب برحابة صدر ولكن واحدة في الشرق وأخرى في الغرب ، انتهت الجولة بالتعليق من القدمين ، التأريخ هو ماكتبه نحن ، تأريخنا وحدنا ، ندوّن ونشط ونمسح ونسجل كما تمليه علينا الحقيقة ، ما تكتبونه لا يخرج عن كونه ثرثرة لا يصدقها مجنون ، هذيانات سرعان ما تتلاشى ، تذوّب ، تأريخنا هو الباقي ، ما تكتبه يا أستاذ سالم لا يتعدى أن يكون حذاء قديما تبيّس وتكسر ، لا متناهية ، الشوارع التي سارت بها السيّارة لامتناهية ، شارع يقذفك على شارع آخر ، اهتزاز يرميك على آخر ، فعلوها معي ، كانوا خمسة ، ربّما أكثر ، المهم أنهم فعلوها

- تكتب ضدنا ؟
- لماذا تعتقدون أنها ضدكم ؟
- لأنه ضدنا فعلاً .
- إذن أنتم تعترفون .
- بماذا ؟
- بعمليات التقطيع !

ليل الزنزانة فيه ... موسيقى ، الموسيقى من أنين ، الأنين يعزفه أولئك الذين أصبحت الزنانات بيوتهم الأثيرية ، عندما ترتفع الموسيقى ثمة أوجاع وجروح تنزّ دما أخضر ، ليلها الأزلي يحلّق مع موسيقاهم إلى أمكنة وأزمنة بعيدة ، عندما يتلاشى الأنين ويتوقف العزف الجماعي ... يخيم الموت ، يسحلونهم من أرجلهم جثثا من عظام ، هياكل من حلم ، أنين من غضب ، تختنق صرخات الأمهات في صدورهنّ وتدفن صيحات الزوجات وسط غرف الحداد ، وتحلّق دموع الآباء إلى السماء السابعة بعيدا عن الأنظار ... ثمة صوت يدب حيث يستقبل الآباء الجنائز أسئلة تتوارى ، عيون تنفّ واء الأبواب ، الصغار يهرولون واء السبّارات ، التي قذفت الجثث وانطلقت مسرعة ، كانوا يرددون أشياء لا يفهمها سواهم : (عليك أن تدفع ثمن الرصاصات التي اخترقت صدره ابنك) . الملك الجبّار يأكل كلّ لحظة مائدة كاملة من البشر المقطعين ، لا أتذكّر كيف ولدت ، هل كانت لي أم ، كيف كان شكلها ، يقولون لكلّ واحد منا أب وأخوة وأقرباء ، أصدقاء ، أول ما دخلت إلى هنا قال لي خليل رصاصة : (سأجعلك ترى نجوم الظهر) ، وكان صاحب كلمة وكلمته لا تصبح عشرا أبدا ، لكن (سليم بلدوزر) أكّد ، انظر أكّد لي : (سأنسبك حتّى اسمك) ، كان صادقا ، أعظم شيء في هذا الكون أن تكون خفيفا بلا تبعات أو أسماء ، أو أمهات وآباء ، وإذا اقتضت الضرورة بلا ملابس أيضا كما هو الحال عليه الآن ، لأنّ الضرورة اقتضت والظرف الموضوعي اقتضى أن أكون بلا حتّى ملابس داخلية لأنّهم يؤكّدون لي كلّهم : (سرجعك إلى أمك مرّة أخرى) (الضرورة اقتضت ، من السخافة جدا أن أعود إلى أمي مرّة أخرى بملابس ، انتهت الطرق وتوقف الإهتزاز ، جمدت في كبسي الأسود ، لحظات من دم ، امتدّت بد عملاقة سحبتي ،

لم تجد أدنى صعوبة في سحلي ، كنت لا شيء ، لا شيء ، البتة ، عظم هنا ، وجلد هناك ، سن في آخر فكي السفلي وآخر في المقدمة العليا ، عيان تخثر فيهما الدم وفم كسر مئات المرات ، أذناي كبيرتا عن حجمهما الطبيعي حتى كنت أراهما بسهولة ، استبدلوهما بأذني حمار ، أخرجوني من الكبس ، أسمع أصوات صارخة وأخرى أمرة وأخرى في عجلة من أمرها ، أدخلوني إلى قاعة واسعة ، مئات الرجال كانوا بانتظاري ، استقبال مهيب ، هائل ، أسطوري ، مراسيم احتفال بهيج ، موسيقى رسمية ، طفت النظرات كل النظرات تتجه نحوي ، تقدم رجل عملاق بخطوات بطيئة ، حاولت أن أذكر أين رأيته ، لم أستطع ، صورته ليست بغريبة ، وقف بجاني ، أعطى إشارة لكل الرجال الجالسين بالنهوض ، كانوا مئات ، بنظرة خاطفة رأيت أيديهم قد وضعت فيها القيود ، أعطى إشارة أخرى ، لم أفهم منها شيئاً ، لكنني سمعت صوت آلة كهربائية قد ملأ القاعة ، اتجه نظري باتجاه الصوت ، لم يكن سوى منشار كهربائي ، لم يشر اهتمامي أحداً على الإطلاق ، حركات غريبة دبّت بين صفوف الرجال المقيدون ، همهمات ، أصوات ، ارتعاشات ، بكاء ، أعطى إشارة أخرى دخل أربعة رجال يحملون على أكتافهم تابوت ، وضعوه في منتصف القاعة ، أعطى إشارة أخرى ... تقدم رجال كثيرون وأخذوني إلى التابوت ، قال أحدهم : (أستاذ ... تقدم فيه) كنت أود أن أخبرهم بأنني لا أشعر بالنعاس إلا أنهم لم ينتظروا أن أقول لهم ذلك ، حملوني ووضعوني في داخل التابوت ، شعرت براحة تامة خاصة أن حجمه كبير ، يسع لهيكلين عظيمين مثلي ، برز صوت قوي دوى في المكان : (ستعرفون الآن ... أو يصبح مصيركم مثل هذا) ، تساءلت ماذا يقصد بـ/ هذا / ، هل أشار بإصبعه عليه ، صوت المنشار اقترب أكثر ، ومع اقترابه سمعت أشياء كثيرة يرافقها أصوات انهيارات ، اختناقات ، صوت المنشار يتقدم ببطء ، إلا أنه سرعان ما صار بجاني ، بدأ خشب التابوت يتطاير فوق ، رأيت أسنان المنشار تخترق الخشب فتقطع اللحم ، العظام ، الأحشاء ،

موناليزا

قصة قصيرة

بقلم : نازك ضمرة
الأردن

تنبه لسيارة صغيرة تصعد بصعوبة وببطء ، تزحف على الطريق الصاعد لأعلى الجبل ، فتاة بدنية في مقتبل العمر تقود السيارة ويجانبها فتاة أكثر بدانة منها ، وخلفها ثلاث نساء أخريات ، وجوه وملابس الجميع كانت جذابة وتجلبها النعمة ، قال بصوت مسموع وهو ينظر اليهن :
. كان الله يعون هذه السيارة الصغيرة

الشفقت عيناه بعيون اثنتين أو ثلاثة منهن ، كأنما فهمن ما فكر به ضحك جميعا والسيارة ما زالت تنزّل وتنزّل ، محاولة صعود ذلك الجبل العماني .
(أراهن أنّ واحدة ستلحق بعشيقها هذا اليوم) .

<http://Archivebeta.Sakhrit.com>

قرع الجرس ثانية ، صاح احد الرجال من الشرفة المجاورة ، نادى على ابنته ، كان صوته جهورياً قوياً ، احسست بالرهبة وعدم الاستقرار ، طلب منها العودة بسرعة ، ابلغها عدم موافقته على زيارة صديقتها التي تدعي ، نظرت اليه لأوازن بين شكله وقوة صوته ، فوجئت بارتدائه ملابس فرعونية ، مصرية قديمة ، أو هكذا هي ، لي ، (الأمير الفرعوني المجهول عشق اخته ، اصر على ارتباطه بها ، حاول حبسها ومنعها من التنزه في حدائق قصرهم الصغير ، على جبل المقطم) ، تسمع حركة وخشخشة داخل المنزل ، أنفاسا ودبيب حياة . تفرع الجرس للمرة الثالثة : (عندما لم تهتم الأميرة الفرعونية بشقيقها ، رق وهان ، رجاها ان تقابله من وراء زوجها ، قال لها : اسعد ببهاء روحك ونقاء دمك ، اجابته :

. ما دمنا مصنع الرجال لماذا نخشى الرجال ! وعمتي كليوباترا خرجت جهارا نهارا الى عشيقها الغريب ، لم يشنها حق العرش وصولجان المجد عن قرار قلبها) .

هل أوصاك في طريقى إلى أقرب موقف للباص يا أم عصام ؟
رحبت بالفكرة ، دون اضاءة وقت ، كانت تجلس بجانبى خلال ثوان ، طلبت منى
توصيلها لمدرستها التى تعمل مديرة لها
هل منتم تلاقون صعوبة في المواصلات من قبل يا أم عصام ؟

ابن عمان الأمس من عمان اليوم ! زحفت عمان في السنوات الأخيرة على مواسم
الاشجار والثمار ، فأمطرت مكان تلك المواسم قصورا ومعارض وأبراجا ، بذرت
اماكن رشع العرق هياكل حجرية ، جامدة موحدة اللون ، (لم يقبل اقتراح صبغا ،
لم يوافقها ، خشى من والدته ووالدتها ، وعمرهما حوالي الحادية عشرة ، قررت
فمها من اذنه قالت له ، هناك خلف ذلك الجدار ، سنلعب وحدنا ، واذا نعشنا فلن
يزعجنا أحد ، أما هنا ...) ، يسمع أم عصام تقول ، صادرت البيوت صرير
المحارث في رحم الأرض ، احتل العمران مكان الزهر والثمار ، هذا الجبل من جبال
عمان حافظ على عراقته ، ظل يغلب ...

هل تعرفين الجبل الذي تقع به مدرستك قبل أربعين عاما ؟
ظل يغلب عليه الهدوء ، وشاخ الكثيرون من سكانه ، ومن لم ينقل سكناه الى
مناطق عمان الغربية ، ظل ينعم بالخصوصية والتمايز فيه .
سمع حركة اقوى داخل المنزل ، تنبه الى أحد الأتوار المضاءة نهارا ، لكن ذلك لم
يؤكد وجود احد في المنزل ، فمعظم الناس ينسون مصباحا أو أكثر مضاء .

سأله مرة ان كانت إقامته في هذا المنزل تعجبه ، قال : يقع في خاصرة الجبل ،
لاهو في أعلاه ولا في أسفله ، قريب من المواصلات والأسواق ، وأضاف ان اقامته
هناك تنسيه قلق وهموم طفولته . اثر معاناته في طفولته واضح في وجهه وحول
عينيه . سأله ثانية ، ألا تنسيه شهرته ومكانته في المجتمع مرارة الماضي ؟ أكمل
حديثه أن موقع منزله ، يجعل زيارته والتردد عليه ممكنا مما يخفف عنه همومه
وولعه بالوحدة .

تفضل !

يد تلوح من الباب الذي ينفرج قليلا ، قليل المجاملة كعادته ، لا يتقن لغة الاستقبال والترحيب ، عرف ذلك من تكرار زيارته له مؤخرا ، شاهد وسمع كيف يخاطب اصداقا « الآخرين الزائرين » (الغريب انه سمع نصيح صباحا ، وحينما ابتعد امتارا قليلة ، تشابكت أيديهما وقرب الجدار قفزا من فوقه كالغزالين بعد ان استطلعا المنطقة) .

حرك يده ببطء ثائية ، يدعوهُ للدخول ، من عادته أنه يمشي ببطء ، يفتح الباب ببطء ، ببطء يدعوهُ لدخول الصالة ، يتركه عادة لدقائق ، وينشغل بالمطالعة ريثما يعود من داخل المنزل متباطئا ، وييده ابريق الشاي اياه ، نفس الإبريق الصغير ، غطى السواد معظمه إلا أعلاه ، من غطائه تعرف انه مصنوع من الألمنيوم ، ومعه في يده الأخرى كأسان زجاجيان فارغان ، تقطر الماء منهما ومن يده ، لأنه غسلهما لتوه ، اثنا انتظاره غلبان الماء للشاي يكون قد غيّر الملابس او غطى جسمه الأعلى بشكل أكثر لياقة ، فيبدو انشط قليلا مما شاهده قبل ربع ساعة .

<http://Archivebeta.Sakhrit.com>

قبل ان يتفوه بالترحيب ، يملأ الكأسين بالشاي ، بعدها تتوالد مواضيع الأحاديث بينهما ، تعود صديقه على طباعه تلك ، قال قبل أسبوعين (كنت أحس بالفقدان والتجمد ، بعيشية الحياة وتفاهتها ، لا طعم للحياة الرتيبة في عمان على اتساعها ، وبين عشية وضحاها ، تسللت اشعة ذهبية الى عيني ، حملت لهما دفء الشمس ورقة القمر ، أنارت كل عصب في كياني ، غاصت روحي في أعماق البحار وسحرها ، وازدهرت المروج بزهورها وفراشاتها ، تراقصت امام ناظري اميرات الجن الحسان ، يفسحن صدورهن سعيديات لكل نظرة عين ، رشع النور إلى دمي فوصل منبعه ، اعمل في قلبي اعادة نحت وتشكيل ، ارتسمت لوحة باسمه متداخلة الألوان في سمائي ، صارت هذه اللوحة وسط هالتها تقترب مني رويدا رويدا ، وكلما اقتربت أرى بها القا وأنسا وابداعا خفيا ، جمعتنا طاولة في أحد الأماكن العامة للمرة الأولى ، استلبت مساوئي ، وعندما زارتني في هذا المنزل قبل أيام ، الهبت

في أتون الحياة ، قالت لي انني استحق العيش ، ومنذ شاركتني فنجان الشاي ، صار لكل الشاي طعم الراحة ، أنشق عبق الشاي فيفور حينني قبل أن يفور الماء على النار ، اقفز طفلا طائشا لارتشاقه قبل ان تتبخر ارومته .)

ملّ الانتظار أمام بوابة المنزل الخارجية ، ينس من وجود أحد ، أخرج ورقة صغيرة ، كتب عليها : (حضرت العاشرة والنصف فلم أجدك) وضعها في مكان بارز على الباب ، ثم همّ بالمغادرة .

بالرغم من تحذيره له وعدم موافقته على علاقته بالصديقة تلك . صديقة روحه كما يسميها إلا أنه في لقائهما السابق رأى ذلك خط أحمر لأمثاله . بعدها علت بسمه على وجهه ، قال بحماس :

- تزدهي الغرفة بأشيانها ، تتسع وتوسع ، يرى شجيراته الصغيرات في الزوايا وهن ينيقن أوراقا جديدة بانعة .

تنشط يده في حركاته صعودا وهبوطا ، يمينا ويسارا ، وتقتدّ شفتاه للأمام كثيرا ، فيرتشف المزيد من الشاي ، يشرثر ويتصل حديثه بسرعة ، يقوم بسرعة ، يحضر المزيد من السكر بسرعة ، يقهقه بسرعة ، يخطو خطوات للأمام يعود بعدها إلى مكانه بسرعة . يقول له :

- حسب علمي هي متزوجة مثلك !

يعن النظر في وجه صديقه ، كأنه يصحو من حلم ، يوافقها هاذا رأسه ، يزداد اتساع حدقتي عينيه ، في انتظار كلمة اسعاف لما اعتراه من ذهل .

(بقيت صديقتك صباحا ، ممسكة بيدك ، اسندت رأسها للجدار الخشن ، فعلت مثلها ، شكوت لها ألما في رأسك بسبب خشونة الحجر ، جذبت رأسك ووضعته على ركبتيها ، صارت تداعب شعرك ، أحسست بالإرتخاء والنعاس) .

أدار ظهره مغادرا البوابة ، وقبل أن تمتد يده لسيارته ، سمع حركة وبابا يفتح ببطء ، ورماسمع بعض الكلمات ، تأمله ، فرآه بالباب يبتسم ، لا يبدو عليه أنه كان نائما ، ولم يكن يرتدي ملابس النوم هذه المرة ، حرك يده لك ، طالبا منك

العودة والدخول ، بادرت قائلاً :

- يبدو أن أحدا ما سبقني ، وسريتما الكثير من الشاي هذا الصباح !

- تفضل بالدخول حتى أغسل لك كأسا لشرب أنت أيضا !

تنحى جانبا من فتحة الباب ، وفور دخول الضيف ، سلم عليه بسرعة ، ثم مشى صوب المطبخ ليحضر كأسا جديدة له ، ظل واقفا يتجسس بنظره لداخل المنزل .

(تذكرت قول أمك ، حين امتدت يد صبحا تسحبك - لا تتبعد كثيرا ! - أريدك أن تقضي أمورا مهمة لي قبل الظهر - طار نعاسك ، قفزت واقفا) .

سمع تحية الصباح من الركن ، صوت نساني فيه خجل وثقة ، أدار وجهه ، عرفها بوجهها القوي الملامح ، وببسمتها الحلى المعهودة ، نسي اسمها في تلك اللحظة ، رد على تحيتها ، احتار ماذا يقول أكثر من ذلك وتأمل المكان والكرسي الذي سيجلس عليه ، لاحظ الشجيرات الصغيرة في الركن ، تراخين وتهدلت أوراقهن ، ربما من كثرة الري ، صغر حجم كل جزء منها ، لكن المكان سيبدو فراغا وجمودا لو لا وجودها .
<http://Archivebeta.Sakhrit.com>

كادت تغوص في المقعد القديم الضخم ومازالت تبسم ، سألته عن حاله ، وقبل أن يجيب عاد المضيف وبيده الكأس الفارغة المبلولة ، ومازال عليها بعض القطرات ، ألح عليه بالجلوس ، لمشاركتهما الشاي .

تمنى في داخله لو كان يتقن فن الرسم ، أو لو كانت لديه آلة تصوير دقيقة ، لالتقاط صورة لموناليزا جديدة ، لا شك أنها ستشطب دافنشي وشهرته في كل المتاحف ، (أراهن أن بسمه صغيرة ستعلو وجه كل من يراها !) .

- أرجو أن تسامحني ! لا أستطيع مشاركتكما الشاي ! تذكرت أن علي أن أقضي أمورا مهمة قبل الظهر .

عاشق المطر

قصة قصيرة

بقلم : نهلة علام العياري

شفّ اللّيل وامتلأت جوانحه أنسا فانكفأ حسام يقلّب دفاتره القديمة وأوراقه المهترئة وكراساته المصفرة في شحوب من احتجب طويلا عن أشعة الشّمس وجمعها كلّها في كومة واحدة ثمّ انبرى يضمّها ضمّ الأم وليدها وينظر إليها بطرف كاسر فتهاذت إليه من الماضي البعيد صور مختلفة متزاحمة وفي تزاحمها نسيت أن تحمل إليه أصدا ، الأصوات المتلاشية ثمّ رمق ذاك الركّام من الأوراق والكراسات كما يرمق المحارب سلاحه الصّديّ بعد انتهائه من جولة حربيّة خاسرة . هو لا يملك لها اليوم حولا ولا قوّة وقد كانت في ما مضى تقلك عليه حياته وتملأ كلّ أوقاته . وكان يتعهّدها في إشفاق وكلف لاحدّ لهما .

فتح إحدى الكراسيات فطالعه في رأس الورقة :

في الحادي والعشرين من جانفي سنة 1990

كان الجو غائما ورذاذا من المطر يتساقط . وكان البرد شديدا . وقفت في ركن من مكتبة الكليّة أراقب دموع السّماء المنسكبة على زجاج النوافذ وعلى أوراق الشجر الصّامت في الحديقة . وكانت هي إلى جانبي تشاركني روعة المشهد ورهيبته وقالت بين التعجّب والسّؤال : « عاشق المطر أنت ؟ » ونظرت في وجه السّماء كأنّها بنظرها الغائمة تريد اختراق الفضاء إلى أسرار كنت أقول لها إنّها تأسرني . فأجبتها : « إنّما هو مرأى المياه منهمة من الفراغ يدهشني » وأسرعت إلى صمتي من جديد لا يشغلني اللّغو عن التأمّل .

وفسّحت من الأرض رائحة ذكرّرتني بكلّ الأبدن الذين سكنوا بطنها وكلّ العابرين الذين حطّوا رحالهم في مكان ما منها واحتاروا

الهجوع لأن الزاد لا يكفي لرحلة جديدة.

انتهت .

دفع عينيه عن الكرّاس وثبت نظره في نقطة واحدة من الفراغ كمن يحاول أن يتذكّر أمرا تقادم عهده وقال في سرّ « كثر هم الذين عبروا جسر حياتي وأستدعيتهم اليوم فلا يجيبني منهم سوى أخيلة وأشباح باهتة أخذة في التلاشي. ترى كيف عبروا وأنا هاهنا جاثم ؟ بل كيف تركتهم يعبرون وقد أخذ كلّ واحد منهم جزءا من أجزائي . لقد تقاسموني فاذا أنا بهم شتات وإذا أنا من صدى أصواتهم بئر عميقة لا قرار لها وإذا أنا من روائعهم المعتقد بطن جديد يؤريهم ، وتضوع روائعهم كلّما حركت الرياح بعض أفنان الذكرى » .

ورفع يدا واهنة بتصفح بها ورقات هذا الكرّاس المهمل منذ سنوات وقرأ في صفحة أخرى منه :

في الخامس والعشرين من جانفي سنة 1991 طفل لم يتجاوز العاشرة من عمره في ثياب مهملة ونظرة هادئة روحه امتزجت فيها الحنية بالابتسام أو هكذا خيّل إليّ. ركض نحوي لاهتا وقال : « هل رأيت العصفور الذي كان هنا على الشجرة ؟ ما أجمله ! لقد طار وتركني أنظر إلى الغص خاليا ، لم لم يبق وقتا أطول ؟

كنت قدمت له بعض الحبّ وانثنى راجعا . وما أظنه إلا ذهب يبحث عن العصفور ومكثت أنا في مكاني تنهافت عليّ صور فيها أطفال وعصافير وأمطار وسقوط وموت وتذكرت قصة ذلك الطفل الذي سقط في حينا من سطح منزلهم لأنه كان يطارد عصفورا وذهل عن الدنيا وما فيها ولم يبق في ذهنه سواه ، لقد رآه وشغفه جمالا فقدّم حياته قربانا له .

انتهت

ويسط حسام راحته على ركبته وأخذ يمعن فيها النّظر فأطلّ عليه من بين أصابعه الجافة ذلك الشيخ الذي مدّ له راحة يده لما سأله عن

أحواله وقال : « تأمل أصابعك يا بني فإِنَّ الحكمة كُلُّها تقع فيها : فالإبهام الطَّفولة والسَّبابة السَّبَاب والوسطى الكهولة في أوجها والبنصر بداية الشيخوخة والخنصر الهرم والسقوط الذي لا مفرّ منه » .

ضحكت يومها متعاليا مستلطفًا حكمة الشيخ ولما رأى ضحكي انبرى في شيء من العصبية يلقي عليّ حكمة أخرى فقال : « قال الإله يوم الحساب للعبد : يا عبدي جاءك ثلاثة رسل من نفسك فلم تصدّق بهم . قال العبد وقد أخذته رجفة المذنب الجاهل : مغفرتك ربّي ولكني لأعلم لي إلا ما علّمتني . فجاءت كلمات الإله تصعق العبد وتوقفه على إثمه قال : أرسلت الشيب على رأسك فاشتعل رأسك شيبا وأرسلت الظلمة على عينيك فخبأ نور عينيك وأرسلت الوهن على عظامك فوهنت منك العظام . وكان لا بدّ لك يا عبدي من النّهاية وكان لا بدّ لنا من اللّقاء في مثل هذا اليوم . فبهت العبد وخرّ ساجدا مضجعا » .

ولما رأى الشيخ جفولني وشحوب وجهي تركني وعبر ككلّ العابرين ولكنه حمل بين طيّات ثوبه البسيط نشوة الظفر وحلاوة النصر على غافل مثلي .

ونظر حسام إلى راحته التي ما برحت على ركبته وقال : « كنت حينما التقيت ذلك الشيخ السبابة وها أنا ذا البنصر فويل لي من الخنصر ومن الرّسل الثلاثة .

ما زال يقلّب صفحات الكرّاس وقد ركبته حنين محموم إلى ماضى وتوق مجنون إلى ما سيأتي . واشتدّ تدافع الحواطر وتزاحمها في خلده وقرأ على صفحة أخرى :

في التاسع من فيفري سنة 1994

إلى من لا يحجبه الظلام والضباب

إلى من هو موجود حيثما يمت وجهك

إلى من هو أقرب إليك من جبل الوريد .

حينما تختفي عن عيني الصّور وحينما تتخفى الأحلام عن
مخيلتي وتقفّر الدنيا وهي مزدحمة. وحين يمتلئ قلبي بالفراغ
وتراود عيني دمة ويزداد نبضي وحين تفلت من بيني وبين لغة
المحروف وتنهار كلّ الجسور. وحين يسكنك المكان وتسكنه أو يقفر
منك يمتلئ قلبي بك وأراك في عيني وأسمعك حين يعلو الضجيج
وحين تقفر الشوارع وتحتسي الطيور بأعشاشها تغدو أنت تغريدها
وحين يناديك في صوت ويناديني إليك . وإذا أنت أقرب إليّ من
جبل الوريد . وأخفيك عنهم وأخفي عيني عن أعينهم حتّى لا
يروك فيها وأكتمك في أعماق نفسي فتتجلّى على شفتي كلمة
حقّ وضحكة ناصعة وأغنية يتردّد صداها بين السحب وفي
أوراق الشجر وفي كركرة الأطفال وابتسام الرضيع .

انتهت

ما عاد حسام يذكر لماذا كتب هذه الكلمات وقشها ولكنه
ما زال يشعر أنّ أصواتا بداخله تضح وأنّ صخباً وفوضى يسكنان
الأغوار منه .

وهو يذكر يوماً جاءته فيه صاحبه تقول : « أنت عاشق الفراغ
والحرية وعاشق المطر والطهارة مارأيتك في ما كتبت فيك ؟ »
وأخذت تقرأ عليه كلمات انحقرت في ذاكرته ولم يعف رسمها
ولم يعبر كما عبر الباقون .

نفسك يا صديقي زهرة أخاف إن قطفتها أن أحنق فيها الحياة
ونفسك طير أخشى عليه قضبان مخيلتي .

ونفسك صمت أخشى إن أنا ناجيتها أن يدنسها الكلام .

كلّمني صمتاً فالصمت لغة الإله

ضحك يومها من الجملة الأخيرة وقال: « أين نحن من لغة الإله ؟ »
وعبرت صاحبه مع العابرين وقرّر هو اليوم أن يتكلّم لغة الإله .

ربّما يأتي

قصة قصيرة

بقلم : خالد محمد غازي
القاهرة

البداية :

يغفو على صوت أمّه يهدده بأغنية .. مرحة هامسة ، يوقظه صوتها يرتل القرآن الكريم .. تعد له طعامه .. بعد أن ينتهي من صلاته يقبل يدها ، فتدعو له بالتوفيق .. تودعه بنظراتها الحانية ، في عمله لا يعرف غير أجولة الإسمنت وأحجار البناء .. يحاول أن يستعيد أغنية أمّه التي غنتها له البارحة .. يتذكّر مقطعا منها أو مقطعين يرددهما .. عندما يعود من عمله تستقبله مدللة له .
<http://Archivebeta.Sakhrit.com>

- يا ضي العين وقطر الندى وشهد حياتي .
حدثته كثيرا في أمر زواجه ، لكنّه كان يتسم ويختلق الأسباب لتأجيل هذا الموضوع .

- هل مللت منّي أمّاه ؟
يقولها وهو يضحك .. تغدق عليه نظرات الحنان .
- وأنت معي لا أمل أبدا ، فأنت دنيائي .

التداخل :

يا ابن الصدق والصلاح وابن العطش .. يا أيّها النبض في دمنا ..
الساكن في شراييننا .. بحيويتك ، بوهنك واصفرارك . سلام عليك . يا ابن

أَمَكْ ووحيدها..نم مطمئنا يا صاحب النفس المطمئنة .." يا أيتها النفس
الطمئنة ارجعي إلى ربك راضية مرضية "

صباح لا يجيء :

سكن في دمها .. في قلبها .. في حياتها ، عشقا صوفيا .. أسئلة كثيرة
تدور .. تجول .. تصل .. تتصارع في ساحات فكرها . صوته يهمس " احك
لي حكاية " ... الصوت يهمس مرة أخرى " احك حكاية من حكاياتك
الكثيرة " الصوت يعلو ويعلو .. يحاصرها بسياج من الذكرى ، زاغت عينها
ذهولا .. شرد فكرها .. ذرعت الطرقات .. مشطت خطواتها .. أنكرتها
الطرقات .. أنكرها الناس .. برد الشتاء لا يرحم والعطش لا يرحم .. ذهابا
ورأبأا تجوب الطرقات .. يا للتعب الذي لا نهاية له .. الرجال يهمسون :

- لا حول ولا قوة إلا بالله .
النساء في بيوتهن .. يحكين حكايات كثيرة يختتمنها بقولهن :
- المرأة اختلت قواها العقلية .

الأطفال يلقونها بالحصى .. ينادون .. يهرولون وراءها " يا مخبولة " .
.. يسألونها:

- ومتى يأتي ابنك الغائب ؟

تتحجر الدموع في عينيها .. تهم بالإنصراف .. يحاولون إيقافها .. تتمرد
على الصمت .. تقهره .. بصوت متهدج تقول :

- سيأتي الغائب يوما .

- متى ؟ .. متى ؟

- سيأتي مع صباح جديد .. عندما تشرق الشمس .. انظروا الشمس الآن
يحاصرها الليل ، فتبدو مهزومة أمام جحافلها .
يركض الأطفال خلفها .. يتحرشون بها .

- صفى لنا ملامحه .
- وكيف أصغه وهو فوق الوصف ؟!
يضحكون .. يرفعون عقبرتهم بالضحك الساخر .. يقولون بصوت جارج .
- يا لك من امرأة مخبولة .. مخبولة .
يمتلاً الجو بالغبار .. تذرع الطرقات .. ذاهبة ... قادمة .. تردد أغنية حزينة
لم تعرفها ولمتردها من قبل .

فاصلة :

- لماذا لا تنتظرينه في بيتك ؟
- لقد مقت بيتي ! فكيف أعود إلى مكان مقته ؟!
- ومتى يعود ؟
- عندما أبني بيتا جديدا .. ربما .. ربما يعود
يتعجبون .. يسخرون .. يضحكون .



<http://Archivebeta.Sakhrit.com>

نقطة أخيرة :

مشيت كثيرا .. كثيرا ، هذا التعب .. جلست على الرصيف .. أرخت
قدميها .. أرخت جسدها كله .. أخذها الوسن إلى مملكته لينقذها من التعب
والعطش .. أرخت أعصابها وهي تردد بصوت حزين .. حزين ، متهدج أغنية
حزينة .. جموع المارة ينظرون إليها .. يتمتمون .
نامت ساعة .. ساعتين .. لا أحد يدري .. تقدم أحد المارة ليوصلها
وينقذها من أمطار الشتاء ، لكنه اكتشف أنها ماتت .

الملتقى التجمعي الرابع للأدباء الشبان المهدية 2 و 3 نوفمبر 1998

رقص على وقع الإبداع وتوق لبلوغ الإمتياز والإشعاع



متابعة :

جلال باباي

ونجلاء قرطاس

أول الكلام ...

كعاداته ، وفي خضم

احتفالات الشعب التونسي

بالذكرى الحادية عشر للتحوّل

المبارك ، نظم التجمع

الدستوري الديمقراطي ،

بالتعاون مع جريدة الحرية،

الملتقى التجمعي للأدباء

الشبان في دورته الرابعة

التي انتظمت بولاية المهديّة

أيّام 2 و 3 نوفمبر 1998 وذلك

في إطار أفراح تونس بذكر السابع من نوفمبر الذي تحلّق في سمانه إحدى
عشرة حمامة ناصعة البياض، عربون السّلام والأمن والاستقرار ومثال للسياسة الرشيدة
والحكيمة للمصلح ورجل التغيير سيادة رئيس الدولة: زين العابدين بن علي .

أدباء على درب الإمتياز ...

تحت شعار : " العهد الجديد " مراهنه على الثقافة والإبداع " عاشت مدينة الفاطميين المهدية يومي 2 و 3 نوفمبر عرس الأدباء الشبان ، فاحتفت بذلك الأعلام التجمعية الشابة كأحسن ما يكون بذكرى التحول، وتقاسموا بذلك لحظات من الروعة المستزجة بسحر المفردات وتناغم الكلمات ، فراهنّت نصوصهم الشعرية والقصصية والنقدية على ركوب صهوة الإمتاع والإقلاع ، وذلك على مرّ يومين عانق فيها أدباء المستقبل فعلا الإمتياز .

فاتحة العرس ..

إفتتح فعاليات الملتقى التجمعي الرابع للأدباء الشبان ، سيادة الأستاذ : عبد عبد الباقي الهرماسي وزير الثقافة بحضور ثلة من الإطارات التجمعية بالمهدية ، يترأسهم السيد الوالي : الهاشمي قوادرية والأخ : الحبيب بالحاج محمود كاتب عام لجنة تنسيق التجمع ، وبعد تلاوة النشيد الوطني ، تفضل السادة : فؤاد القرقروري المسؤول على الثقافة باللجنة المركزية للتجمع الدستوري الديمقراطي والأستاذ : عبد العزيز العاشوري مدير جريدة : الحرية تباعا الترحيب بالسيد وزير الثقافة والإطارات الجهوية وكل الأساتذة الأفاضل والضيوف الكرام الذين حضروا لمواكبة بهجة الأدباء الشبان في عهد الإمتياز والأمان ، مؤكدين على التزام شباب تونس بمبادئ السّابع من نوفمبر وولاتهم الكلي والأمشروط لسياسة رائد الإصلاح الرئيس بن علي .

ثمّ أحييت الكلمة للسيد وزير الثقافة الذي بيّن في كلمته تجديد العهد مع هذا الملتقى الأدبي الذي يتزامن دوما مع الإحتفالات الوطنية بذكرى التحول المبارك مؤكدا على اعتباره مشروعا تأسيسيا وحضاريا ووليد فكر نير وإرادة سياسية متبصرة ، كما نوّه الدكتور :عبد الباقي الهرماسي بالتجمع الدستوري الديمقراطي لتنظيمه لهذه التظاهرة الثقافية التي تجسّد مبادئ السّابع من نوفمبر التي يقود نجاحاته المفكر والمصلح سيادة رئيس الجمهورية زين العابدين بن علي ، بكلّ حكمة وتبصر ، هذا واعتبر أنّ الثقافة هي الميدان الوحيد للشعوب التي تروم التألق في الساحة العالمية ، وعلى مرّ الأوقات كانت ولا تزال ثقافة التغيير نابضة خلفا

وإبداعاً ومجديداً ، معترفاً بالأدباء الناشئين هؤلاء الذين يعتبرون حملة الأمال والطموحات ورجال المستقبل فهم إذن رهين إرتقائنا للألفية الثالثة بكلّ تفاؤل ، ونادى سيادة وزير الثقافة للشباب بعدم إجتراح ما تركه الأجداد وضرورة الأخذ بناحية العلوم والثقافة لتثبيت ذواتهم في مسيرة التشييد الحضاري ، وقد أشاد بما تحقّق منذ 7 نوفمبر 1987 ، مؤكّداً أننا على الطريق السويّ وسانرون حتماً بمرحلة إنتقالية من مجتمع متعلّم إلى مجتمع مثقّف ، وفي آخركلته رحّب السيّد: عبد الباقي الهرماسي بالأساتذة الأجلاء ، واعتبر تواجدهم بالملتقى غايته الإحاطة بالشباب المبدع وإنارة السبيل أمامهم ثمّ تقوية إرادة الفعل لديهم .

المدخلات الفكرية ...و.. "ثقافة الإمتياز" :

ترأس الجلسة الفكرية الأولى السيّد عبد العزيز العاشوري ، وقد أشرف على إلقائها الأستاذ : الباجي القمري ، فأوضح أنّ معنى الإمتياز من خلال مقولات التجمّع الدستوري الديمقراطي وخطب سيادة رئيس الجمهورية تتحوّل إلى مفهوم أو مقولة تدرج ضمن منظومة فكرية ومنفتحة ومنطوية في أنساقها الداخلية ، وهي تتخذ ضمن ثلاث دوائر رئيسية :

- 1 - دائرة الشعار ، للدلالة على الأهداف والتصورات .
- 2 - دائرة المفهوم: ويقتصر على التنوير الذهني .
- 3 - دائرة التجربة: كيفيات تشكل هذه التجربة ، حاضرا ومستقبلا باعتبارها نسقا في صلب التّغيير.

وتسأل ضمن مداخلته :كيف سيكون الإمتياز مقولته في خطاب له نسق ؟ فاعتبره مرحلة ومشروعا حضارياً مفتوحا على ماهو كائن وما سيكون ، فالمقولة ضمن الخطاب السياسي تتأسّس على رؤية مستقبلية للدخول بالمجتمع لعالم التكنولوجيا دون القفز على المجتمع الزراعي والصناعي والإلكتروني .

هذا وقد جاء بين ردهات مداخلة الأستاذ الباجي القمري أنّه لا يمكن أن يكون المجتمع مبدعا ما دام يقتدي بنموذج ومن هذا جاءت الخصوصية كدائرة ومؤشّر للإبداع ، واعتبر أنّ الإمتياز إجماع وإدراك معرفي ، فهو قيمة ثقافية وموقف حضاري ورهان تنموي يرى الثروة في امتلاك المعارف واستحكام القيم

والفضائل ، وبين السيد القمري أن الإمتياز وعي أصيل بالزمن الآتي ومشروع قابل للتطويع على الدوام ، فنلاحظ أن الرئيس زين العابدين بن علي دوما يستعمل كلمة ، الإنخراط لتبيان المساهمة من موقع الفعل والحضارة الكونية وهو ماندعو إليه في هذا الإمتياز .

إثر ذلك تناول السيد عبد العزيز العاشوري الكلمة ، وأوضح أن التطرق لمثل هذه المواضيع يعتبر في حد ذاته مغامرة ، معتبرا أن صلامة الثقافة ليس بالشيء الهين فما بالك حين اقترانها بالإمتياز كشعار يرنو للحداثة ، ثم وصف الشاعر والأستاذ سوف عبيد المداخلة بعمق فكري وجديّة ملحوظة ، ولكن يجب أن تقرأ أولا قبل أن تناقش ، أما الأستاذ : فؤاد الفرغوري فقد أشار أن المسألة في حاجة إلى تدقيق الرؤية حول المفهوم الإصطلاحي للإمتياز أو ثقافة التغيير ، وفي تقديره فإن الإمتياز ليس وصفا جاهزة بل هو رهان له شروط عامة وملامح حضارية ويبلغ درجة معينة من الإقتدار الحضاري ، معتبرا إياه مجال للإبداع الفردي والجماعي وبالتالي فهو مسؤولية فردية وجماعية .

مصافحة الصباح الوسيم مع الدكتور : المنجي الشملي .. الكريم !



كان صباحا رائقا وفسحة شيقية وممتعة مكنتنا منها المشرفون على تنظيم الملتقى ، باستضافة الأستاذ الشاب دوما المنجي الشملي لرئاسة وتنشيط الجلسة الصباحية لليوم الثاني والتي تعلق مضمونها بفتح المجال لسحر الكلمات وإذكاء شهوة المفردات ، فحامت بنا القراءات القصصية والشعرية لثلة من المشاركين في فعاليات هذه الدورة الراكبة في مساحات بانعة مخضرة حاملة

بمستقبل واعد ، فتغزكت القصائد الشعرية بحاسن تونس العزيزة وشرعت سفنها في مياه المهدية الزرقاء ، لتبوح بهواجس الشاعر واختلاجاته ، وكوامن الألق والفرح لديه .
لقد نجح الأستاذ : المنجي الشملي كعادته حين يجالس زمرة الشباب في

إمتاع الحاضرين بابتسامته التي لاتفارق محبته أبداً ، إلى جانب ملاحظاته الدقيقة ،
الدقيقة والرشيقة ، فكان بالتالي خير أنيس لأبهى جلس .

القراءات راوحت كماقلنا بين القصّة والحاطرة والشعر ، وتمتّعنا بقراءات عديد
المبدعين باختلاف أجناسهم الأدبية وورقعتهم الجغرافية ، حيث تداول على المصداح كلّ
من : الشافعي السليمي (سيدي بوزيد) ، وديع الفرجاني (بنزرت) وقد تنبأ
الأستاذ الشملي بأن يكون لهذا الشاعر شأن عظيم في الأيام القادمة ، ثمّ رجاء
الجندي (سليانة) ، عبد المجيد بن سالم (قبلي) الذي تغنّى بتونس العهد الجديد ،
هدى حسني (باجة) ، طارق بوغشيم (تطاوين) وأميرة شويّة (سوسة) الذي قال
في شأنها الأستاذ : المنجي الشملي أنّ لها إحساس قويّ باللغة العربية ونطقاً جيّداً
وسليماً إلى جانب قدرتها على القصّ والمحاكاة... عموماً لقد نزلت ملاحظات
المنجي الشملي على قلوب الحاضرين برداً وسلاماً

إنّ الوقت في مثل هذه المجالسات لا يرحم ، وحتى لا يظلم باقي الأسماء التي
انتظرت دورها ، اعتذر لديهم الأستاذ بكلّ لطافة ، وظرافة ثمّ استدرك بقوله بولير
" الفنّ عصير والوقت قصير " ولكن تلك هي لحظات الرّوعة تتأجّل كعادتها لموعد
لاحقّ وتسدل بذلك ستارها النفسيّة ... وأعدّة إبانها بتجديد بهجة الحروف .
... وختامها ... كان مسكاً !

فسح المجال إذن إلى حفل إختتام العرس الثقافي وقد أشرف على فعالياته
سيادة الأخ فؤاد الميزع عضو الديوان السياسي ورئيس مجلس النوّاب الذي رجا
الحاضرين في الالتقى الوقوف دقيقة صمت وتلاوة الفاتحة ترحماً على روح الفقيد
الشاعر ... عامر بوترعة الذي وافاه الأجل ليلة الإثنين 2 نوفمبر 1998 . وعبر
السيد : فؤاد الميزع في كلمته عن سعادته بالإشراف على اختتام الملتقى التجمعي
الرابع للأدباء الشبان واعتزازه بالتجمّع الدستوري الديمقراطي الذي دأب على
تنظيمه في غمرة احتفال الشعب التونسي بذكرى تحوّل السّابع من نوفمبر المبارك
وقد رأى أنّ في تنظيم مثل هذه الملتقيات وغيرها إلّا تأكيد راسخ للعناية الفائقة
التي يوليها سيادة الرئيس : زين العابدين بن علي لشباب تونس بمختلف شرائحه
وحرصه الدائم على الإنصات إلى مشاكله والاستجابة إلى مشاغله والتفاعل مع

طموحاته وتوفير الفرص وتفتح المجالات أمامه لتبليغ صوته والتعبير عن آرائه وتصوراته . وقد حث السيد فؤاد الميزع الشباب وفي طليعته شباب التجمع الدستوري الديمقراطي على مزيد العمل والإجتهاد لكسب الرهان الحضاري الذي يكسب صبغة الإمتياز ومن هذا المنطلق ارتقى سيادة الرئيس زين العابدين بن علي بالثقافة إلى المرتبة اللأئقة بها . واعتبرها سندا للتغيير والأساس الذي يقام عليه الإصلاح والبناء الحضاري . ثمنها رئيس مجلس النواب الجمع الشبابي بنجاح المنتقى الذي كان ولا يزال فرصة للقاء والتشاور وتبادل وجهات النظر وعرض التجارب في مجال الكتابة الأدبية .

وسجل السيد فؤاد الميزع بكثير من الإعتراز حضور مجموعة من شباب تونس من الخارج لأول مرة في رحاب هذا المنتقى ، تجسيدا للعناية الموصولة التي يوليها سيادة الرئيس زين العابدين بن علي لأبناء تونس في الخارج ولحرصه على تفتين علاقتهم بوطنهم . ثم هنا السيد رئيس مجلس النواب الفائزين في مختلف المسابقات التي نظمتها المنتقى راجيا لهم مزيد النجاح والتوفيق .

المكرمون في المنتقى

من السن الحميذة التي لأدب المنتقى التجمعي للأدباء الشباب على تنظيمها ، حرص شديد الحرص في كل دورة على تكريم نخبة من أعلام الأدب والثقافة في تونس ممن كان لهم فضل المساهمة في الملحق الثقافي لجريدة الحرية وتطويره وقد نال حظ التكريم هذه السنة :



الأستاذ الحبيب الجنتاني



الأديبة مسعودة أبو بكر



الأستاذ المنجي الشملي

الأستاذ عبد السلام لصيلع



الأستاذ محمد الحبيب الزناد



الأستاذ حمودة الشريف كريم



الفائزون بجوائز الملتقى ...

**** مسابقة القصة :** اجتمعت اللجنة الخاصة بتقييم مسابقة القصة والتركبة من الأساتذة : مصطفى الفارسي (رئيس) وحياة الرئيس ونور الدين بلقاسم (أعضاء) ورشحت إثر ذلك الأعمال التالية :

* الجائزة الأولى : عبد الرحمان الهشيري - القصيرين - عن قصته "بيدق في مملكة"

* الجائزة الثانية : ناجي الفرشيشي - جزؤنة - (بنزرت) عن قصته : "جنرال" .

* الجائزة الثالثة : حسن السالمي : قبلي - عن قصته : "العنكبوت" .

**** مسابقة الشعر :** اجتمعت لجنة الشعر يوم 20 . 10 . 1998 بدار التجمع الدستوري وأشادت بغزارة المشاركة . وقد أوصت اللجنة المترتبة من السيد : سويلمي بوجمعة والشاعر الأستاذ : سوف عبيد ... بمزيد الإطلاع على عيون الأدب قديما وحديثا والنهل من الشعر التونسي ، كما أوصت بضرورة اعتبار الكتابة الشعرية هاجسا جديا ... ورشحت الأعمال التالية :

* الجائزة الأولى : عبد النبي العوني - تونس - عن قصيدة : "باقشعر" .

* الجائزة الثانية : جلال باباي : أكودة سوسة عن قصيدته : "انكسارات آخر الليل" .

* الجائزة الثالثة : رحيم الجماعي : الوردية تونس - عن قصيدته : "مجموعات شعرية" .

**** مسابقة النقد :** واعتبرت اللجنة المترتبة من الأستاذ : محمد صالح الجابري والأستاذ رشيد القرقوري أن النصوص المقدمة في النقد كان تناولها سطحي وجهدها

متواضع ، وأفرزت فوز الأعمال التالية :

* الجائزة الأولى : خالد رداوي - قفصة - لمقاله النقدي : أسئلة الشعر "فتنة التجاوز ونداء الحداثة".

* الجائزة الثانية : ثريا الحمراوي : باجة - عن مقالها : "طه حسين ناقدًا للسياسة ، مفكرًا فيها من خلال "حديث المساء".

* الجائزة الثالثة : الصحيبي بن منصور - سوسة - عن : "نص نقدي : حول الأديب حمودة الشريف كرم".

**** مسابقة المقال الحضاري :** إجتمعت لجنة المقال الحضاري والمتكوّنة من الأساتذة : باجي القمري وفؤاد الفخفاخ ، يوم 10 أكتوبر 1998 وشدّت على أيادي المشاركين فيها ، حيث أثنوا على غزارة المشاركات هذه السّنة والذي تجاوز عدد المشاركين في مسابقة النقد ، وأفضت القراءات إلى الفوز بـ :

* الجائزة الأولى : زهرة حمدي - سيدي بوزيد - عن مقالها : "التفسير سبيل التجاوز والتخطي من أجل غد أفضل".

* الجائزة الثانية : صالح السباعي : حاجب العيون (القيروان) : "عهد السابع من نوفمبر فلسفة الإنجاز والإمتياز".
* الجائزة الثالثة : محمد المهدي بن سويدان - القيروان -

هوامش عن الملتقى :

لاقى اقتراح الأستاذ وكاتب عام اتحاد الكتّاب التونسيين "سوف عبيد" المتمثّل في إضافة جائزة لأوّل ديوان شعر أو مجموعة قصصيّة إستحسان الحاضرين فصقّوا له طويلا .

* أثناء إلقائه ، لم يستغ الأستاذ المنجي الشملي إسم "لورا" في قصيد الشّاعر محمد الهادي الربيعي من المرسى فتساءل عن مصدرها ، فأجابه أنّها مطربة إيطاليّة فضحك الأستاذ كثيرا .

* فوجئنا بوجود القصّاص : عمّار الشّافعي في حلبة الرقص أثناء السّهرة الفنيّة ، فتساءل الجميع : هل انسلخ عمّار عن الرواية ليجرّب حظّه في مجال "تدوير الحزام" ربّما ليفتلك جائزة الرقص ...؟؟